روايات عبير



آيراتايلور

أنشودة البحيرة

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No.155

أنشودة البحيرة

في البداية ظنت ديلي ايفريت بكل براءة انها ستكون سعيدة بدورها الجديد في حياة شاعر مشهور تطارده المعجبات. قبلت ان تكون الملهمة التي يكتب لها قصائد الحب، والخطيبة التي تحميه من المتطفلين وترعاه في نوبات يأسه المتكررة. ولكن كل هذا تغير عندما مات الشاعر رايس مورغان في ظروف غريبة مبهمة، ووجدت نفسها تقبل دعوة لزيارة أمه العمياء في قصرها العتيق، وابنها البكر راوول استقبلها ببرود شديد يقرب من الاتهام كأنه يعرف أسرارها الدفينة. انها الآن في قلب الهضبة المركزية بفرنسا، في ضيافة عائلة لا تعرفها، قريبا من بحيرة لها حكاية يتهامس بها القرويون، والحب والقدر لغزاها الأساسيان. ولماذا قبلت بهذه الدعوة؟

١ـ الملهمة

ـ «عليك ان تزوجي عملك» هذا ما قاله لها عمها قبل اربع سنوات، عندما عرض على ديللي ايفريت ان تعمل معه في دار النشر التي يملكها، وها هو يعود الآن الى تكرار قوله هذا قبل ان يرسلها الى فرنسا، لتأدية مهمة غريبة الى حد ما.

وربما انها كانت قد تزوجت عملها فعلاً، فقد قبلت ان تعيش كذبة ولمدة سنة كاملة امام الرأي العام، كذبة جعلتها تربط اسمها باسم ذلك الشخص المعروف جداً رايس مورغان، كذبة اعتقدت انها تستطيع ان تنساها بعد موت هذا الشخص.

انها ترتجف عندما تستعيد ذكرى هذه الاشهر الصعبة، او لربما وبكل بساطة كان ذلك بسبب الرياح التي تهب على رصيف

المحطة. لأن الهواء ما زال بارداً في أواخر الربيع، وهي ترتدي معطفاً خفيفاً من الصوف الذهبي اللون مما يضفي على شعرها الأشقر انعكاساً نحاسياً. ولم تستطع ان تحتمل الجو المعبأ بالدخان في صالة الانتظار، لأن القطار الذي أقلها الى هنا، هذه الزاوية الواقعة الى الشمال الشرقي من الهضبة المركزية، كان قد وصل قبل موعده المحدد ببضع دقائق.

قرية سان جوست كانت معلقة في الجبل الذي يبعد قليلاً عن المحطة، محاطة بجدار من الاحجار الجافة. اسطحة بيوتها حمراء، لكن البيوت مرصوفة الواحدة تلو الاخرى، معتمة، مما اعطى ديللي انطباعاً بانها امتداد طبيعي لأرض بركانية.

رايس تحدث عن الهضبة المركزية في بعض الاحيان في اعماله، وامام الهضبة الجبلية شعرت ديللي وكأنها شاهدتها من قبل، مع انها لم تزرها سابقاً على الاطلاق. انها تعرف هذه البلاد بفضل قصائد رايس مورغان حيث انها موطن امه.

واحست ديللي بأن شبح رايس يراقبها، ويبتسم لها بصمت، كما كان يفعل احياناً، بوجهه الجميل الذي تغطي جزءاً منه خصلة شعر سوداء طويلة.

رايس مورغان الذي كان عليها ان تدّعي بانها خطيبته. لماذا قبلت ان تلعب هذا الدور؟ عمها كان عائلتها الوحيدة، ولم تنجذب ديللي الى خوض المغامرات التي لا مستقبل لها والتي ترضي ابناء جيلها من الشباب، وبالنتيجة تزوجت عملها لأنها كانت تعشقه. ومن ناحية اخرى، لترد الجميل لعمها الذي

تولى رعايتها بعد موت اهلها وهي طفلة صغيرة.

رايس مورغان احد الكتاب الرئيسيين في السلسلة التي تديرها ديللي التي سحرت باعماله ومؤلفاته، اما بالنسبة اليه فقد كان سعيداً لأنه يستطيع الاعتماد على احكامها. وظلت علاقتهما افلاطونية، بعد عدة محاولات غزلية بدون اقتناع كبير من طرف رايس.

وفي الحقيقة، رايس لم يكن بحاجة على الاطلاق ان يغازل ديللي، ولا اللواتي يقعن تحت سحر جاذبيته بشكل مؤكد، لأنه كان محاطاً دائماً بمجموعة من المعجبات اللواتي يتشوقن الى ان يحظين باعجابه. فشعره الغزلي جعله مشهوراً جداً، وعرف عنه بانه محب لا يقارن، وانه هو نفسه ثمرة حب ام فرنسية واب انكليزي.

عم ديللي واتته الفكرة بان يعلن خطوبة ابنة اخيه الى رايس مورغان، لكي يحميه من نفسه، ولكي يحارب سمعته كغاوٍ للنساء. وحضور ديللي مجموعة من المحاضرات التي نظمت عبر الولايات المتحدة الاميركية لرايس، جنبه بعض هذه الشائعات. ديللي كانت مترددة تجاه فكرة عمها، لكن رايس وجد ان هذه المسرحية تتناسب مع مزاجه لأنها سمحت له بان يبعد النساء اللواتي يضايقنه دون ان تمنعه من الاهتمام باللواتي يكترث لهن.

كل شيء سار كما كان متوقعاً. صحبة ديللي احبطت معظم المعجبات برايس لكن الاشياء بدأت تسوء باقترابها من نهاية

اللعبة التي انتهت بمأساة.

بالنسبة لديبلي، موت الشاعر مورغان وضع نهاية لدورها كخطيبة. اخفت هذه الحقيقة حتى عن امه، التي كتبت الى ولفريد ايفريت لكي تدعو ابنة اخيه للاقامة في قصرها في الهضبة المركزية، لتطلع على مجموعة القصائد وبعض الوثائق غير المنشورة كان قد ارسلها رايس في بحر السنة الى قصر امه التي لم تكن راضية بدورها عن ارسال هذه المواد الى انكلترا، وانها ستسعد بالتعرف الى خطيبة ابنها.

ـ ارفض رفضاً قاطعاً.

هذا ما صرحت به لعمها قبل اسبوعين.

ـ الا تقيم وزناً لما ستفكر بي امه؟ يبدو انك نسيت انني انا من اعدها مجموعته الشعرية الأخيرة والتي كتبها بجرأة لم يكتب بها من قبل.

ـ نحن جميعاً نعرف انك لم تكوني ملهمته، ولكنه وجد فيك تجديداً بعد كل النساء الأخريات، ولقد ساعدته كثيراً ليضع الكتاب بالشكل المطلوب، ولهذا السبب اهداك اياه.

ـ لكن والدته تجهل هذا، وهي تتصور اسباباً اخرى، وانا متأكدة من انها تنظر الي كمستهترة.

ـ اوجيني دوبريان آخر شخص يمكن ان يصدم بمثل هذا. ان مغامراتها مع والد رايس مورغان كانت سبباً في تغيير يوميات ذلك العصر! لقد كانت الحدث الاكثر شهرة على مدى عقد، رغم ان تلك الفترة شهدت كثيراً من الاحداث المهمة

الاخرى. تصوري الأثر: الممثلة الفرنسية الاكثر شهرة تهجر زوجها وابنها الفتي ولاسيما مهنتها من اجل علاقة حب مع مؤلف درامي لا يملك قرشاً، بالاضافة الى ان اصله ينتمي الى منطقة الغال. لا بالتأكيد، انها لن تفكر بأنك فتاة طائشة.

ـ وباقي العائلة؟

ـ انها تعيش وحدها في القصر، ولم تخرج منه منذ سنوات. اقبلي يا ديبلي وسيكون ذلك عملاً طيباً منك لأنها وحيدة وستسعد بالتعرف الى الفتاة التي احبها ابنها.

ـ الفتاة التي تتصور بأنها كانت حبيبة ابنها.

صححت ديبلي كلام عمها، وانتهت بأن تقبل المهمة.

ـ الآنسة ايفريت؟

هذا السؤال اخرج ديبلي من تأملها، والتفتت مبتسمة، على اعتبار ان هذا هو سائق مضيفتها. رجل طويل القامة، نظر اليها بخشونة، متفحصاً اياها بعينين سوداوين حادتين بلون صخور البازلت.

ـ هل انت في خدمة السيدة دوبريان؟

لم يجب، بل اكتفى بالنظر الى ثيابها الانيقة بعين ناقدة، الثياب التي اعتبرتها مشرقة للقاء اوجيني دوبريان. ثم تمعن في حقيبتي السفر الكبيرتين، مما يعني انها تفكر باقامة طويلة في القصر لكي تدقق في وثائق رايس.

هذا الاستقبال البارد اقلق ديبلي، وبذلت كل ما في وسعها لتتغلب على ارتباكها، متفحصة ذلك الشاب الذي ارسل

لاستقبالها. هناك شيء في وجهه يشبه الجبال المنتصبة خلفه، شيء من البدائية، من الخشونة كان مظهره كأرض مليئة بالحصى، عقد نائته، خدود غائرة، شعر طويل يتراقص في الهواء. رجل يبدو في الخامسة والثلاثين من العمر، اي يكبرها بعشر سنوات. وبما انه لم يجب على سؤالها فلا شك انه لا يعرف الانكليزية.

كررت السؤال بالفرنسية:

- هل انت في خدمة السيدة دوبريان؟

- تعالي معي.

اخذ الحقيبة الاكبر حجماً وسار على امتداد الرصيف دون ان يبدي اهتماماً.

ثارت ديللي لأنه ترك لها الامتعة الثقيلة، اضافة الى حقيبة السفر الاخرى وحقيبة يدها.

تمتمت وهي تتبعه بصعوبة:

- "لو كان يعمل لديّ لطردته" من المؤكد انه من الصعب التعاقد مع سائق يلائم هذا المكان المتراجع البعيد في منطقة الأفيرن من الهضبة المركزية، ولكن لماذا تتساهل السيدة دوبريان مع مثل هذه التصرفات اللامبالية؟

يرتدي سروالاً لا شكل له وسترة جلدية شبه بالية، وبشكله هذا يبدو انه شخص مؤهل ليقوم بعدة اعمال! وأملت ديللي ان لا ينطبق سلوكه هذا على كل خدم القصر، لانه اذا كان هو

المثال فستقضي بضعة اسابيع متعبة.

كان يمشي بخطوات كبيرة مما اضطر ديللي ان تركض لكي تلحق به. تزحلقت ولوت رجلها، التفت اليها اثناء توقفه امام معرض سيارات الرينو ولم يبد استعداداً لمساعدتها. تقدمت بهدوء، وحاولت ان تظهر سخطها وان لا تعرج، متزعجة من كونها لم تنتعل حذاء اسهل للمشي.

وعندما وصلت الى السيارة، كان قد نقّد الحقائب في الصندوق، ولا يزال يمسك بالباب منتظراً ان تأخذ مكانها في المقعد الأمامي.

وهذا ما كانت ستفعله بشكل اعتيادي مكتفية بهز كتفيها امام هذه الوقاحة، ولكن موقفه هذا اخرجها عن طورها.

- سأجلس في الخلف.

هذا ما قالته، ناسية انه لا يفهم الانكليزية.

لم يجب، وكان يمكنها ان تكرر ما قالته بالفرنسية، ولكنها كانت منفعلة جداً فالقت بحقيبتها على المقعد الامامي وفتحت بعصبية الباب الخلفي وصعدت.

اغلق السائق الباب الامامي دون ان يتحمل عناء اغلاق الباب الخلفي، وجلس الى مقود السيارة واحست ديللي بالاهانة فاغلقت الباب الخلفي بكل قواها، ووضعت حقيبة يدها على المقعد بعد ان ازاحت غطاء قديماً ثم جلست في الزاوية المعاكسة للسائق. ظل الرجل ثابتاً في مكانه، يداه متشنجتان على المقود وكأنه يبذل مجهوداً كبيراً ليحافظ على هدوئه. هل سببت له

احراجاً بتكلمها بالانكليزية؟ هل يعتقد انها ستعتذر له؟ واذا كان الامر كذلك فلينتظر.

طال الانتظار، واصبح الموقف محرجاً. وحاولت ديللي ان تستعيد في ذاكرتها تعبيرا بالفرنسية لتعطيه الأمر بالانطلاق، ولكنها لم توفق.

ـ انا جاهزة.

هذه ما انتهت الى قوله.

وبدون اي كلمة ادار المحرك وانطلق، ولاحظت ديللي يديه الناعمتين اللتين لا علاقة لها ببقية مظهره. ولكي يكمل المناورة التفت اليها وحدجها بنظرة سيئة.

وفكرت ديللي ان تشكوه الى السيدة دوبريان ثم تخلت عن الفكرة لأنها لا تود ان تفتتح اقامتها في القصر بطريقة غير ظريفة، وقررت ان تنتقم لنفسها بطريقة غير مؤذية ارضاء لذاتها.

ـ انت شخص فظ، وقح ومبتذل.

هذا ما قالته بالانكليزية وهي تلفظ كل مقطع بعناية وبنبرة ناعمة.

لقد كان رد فعلها طفولياً، ولكنه خفف عنها بعض الشيء.

اجتازت العربة سان جوست، وبدا المكان وكأنه يخرج مباشرة من العصور الوسطى، وكأن السائق هو الآخر خرج من صفحات كتاب عن تاريخ العصور الوسطى كأحد اسيادها القساة، او بالاحرى عليها ان تتخيله كقروي يحرس بضع

عنزات او نائماً في خيمته مع الحيوانات.

اجتازت العربة الجدران، فالطريق يتسلق الجبل محاطاً بخشب السنديان من اليمين وبالمراعي المنحدرة حتى النهر من اليسار، وفجأة تركوا الطريق المعبدة ليسلكوا طريقاً ضيقة تتعرج بين الصخور.

بعد قليل، لمحت ديللي عن بعد كتلة معتمة لقصر معلق على طرف تلة وكان الفضول اقوى من مشاعرها فتوجهت الى السائق مختارة كلماتها بعناية بحيث لا تترك له مجالاً في النهاية ليسخر من فرنسيتها.

ـ هل هذا هو القصر الذي في الاعلى؟

ـ يبدو انه لا يفوتك شيء.

اجابها بالانكليزية وبلهجة ساخرة. علت الحمرة وجهها، انه اذن متمكن من الانكليزية.

ـ انا آسفة لأنني نعتك بالوقاحة، ولكن لماذا لم تقل لي انك تتكلم الانكليزية؟

ـ ولماذا اقول لك؟

ـ يبدو لي ان هذا امر طبيعي! أو على الاقل لأعفيتني من الاحساس بانني كنت مضحكة.

اجابها بجلافة:

ـ انت تتدبرين امورك بشكل جيد ولا حاجة لمساعدتي.

ـ من انت تماماً؟ لا اعتقد انك السائق، والا لما سمحت لنفسك بان تكلمني بهذه الطريقة.

لم يجب، وبعد لحظة صمت، عادت الى الحديث.

- هل تعمل في القصر ام لا؟
- في بعض الاحيان.
- ماذا تفعل؟
- هل هذا يهمك؟

هذا الصد اذهل ديلي، كيف يجرؤ هذا الرجل ان يبدي قلة ادب الى هذا الحد؟ «ولم اخطىء بان اصفه بالوقاحة، ومع ذلك قدمت اعتذاري».

ديلي لم تكن طيلة حياتها تلك المرأة التي تتحمل اي اهانة دون ان تردها، وارغمت نفسها ان تحافظ على هدوئها، ولكنها عاودت الهجوم.

- بالتأكيد، هذا يهمني، لأنني سأقيم بعض الوقت في القصر، وبالتالي سألتقي بكل الاشخاص، هل فهمت، حتى ولو كنت لا تعمل بشكل دائم فيه، انا لا اهتم بشكل خاص بنشاطاتك، لكني متمسكة بان اتجنبك في اي حال من الاحوال. وهذا ما لا احبه، ان اشكو سلوكك هذا الى السيدة دوبريان.

- وكذلك انا ايضاً.

احست ديلي بانها ستختنق من الانفعال لدى سماعها هذه الجملة الحمقاء. كما لاحظت مجدداً ان الرجل كان متوتراً، فعقد اصابعه كانت بيضاء من جراء ضغطها على مقود السيارة، وبدا لها انه هو ايضاً يبذل مجهوداً كبيراً لكي لا ينفجر من

الانفعال.

لماذا يكرهها الى هذا الحد؟ من هذا الشخص المتعجرف؟ انها متأكدة الآن من انه ليس السائق، هل هو مدير اعمال السيدة دوبريان؟ لا انه فظ جداً لكي يشغل منصباً كهذا، ويوحي مظهره بانه يقضي معظم وقته في الهواء الطلق. اذن ماذا يمكن ان يكون مكانه في القصر؟ وقررت ديلي ان تثير وقاحته.

- هل انت دائماً على هذه الدرجة من الوقاحة؟ لا اعتقد انك تجرؤ ان تسلك هذا السلوك مع سيدتك، فالسيدة دوبريان لن تتساهل بذلك، وبصراحة ان سلوكك هذا غير مقبول وغير مفهوم!

اجابها بنبرة حادة:

- يا آنسة، بما انك لست سيدتي والأمل ضعيف في ان تصبحي ذلك، فكل ما يمكن ان تفكري به لا يهمني على الاطلاق.

هذا الجواب ذو المعنيين جعلها تحمر حتى جذور شعرها وعضت على شفتيها لتمنع نفسها من الاجابة.

لا تزال ديلي ترتجف سخطاً، ولكنها تجاهلت تلك الوقاحة، وركزت انتباهها على القصر. لقد اصبح واضحاً امامها الآن، انه قصر معلق على الصخور وكأنه خرج منها، مبني من نوع من الاحجار الغامقة كمعظم القصور في هذا القسم من الهضبة المركزية، قائم ومتين، محصن باربعة ابراج مثلثة السطوح، يسيطر على الوادي بكتلته الثقيلة.

واخيراً، عندما وصلا الى القصر، كانت ديللي قد استعادت هدوءها تقريباً. فمشطت شعرها، ووضعت قليلاً من احمر الشفاه، ولمسة لون على خديها وبضع قطرات من العطر، وها هي الآن جاهزة لمقابلة السيدة دوبريان.

في الباحة توقفت العربة ولحسن الحظ قريباً من السلم الكبير، تمتم السائق ثم خرج ولف حول السيارة، وتخيلت انه سيفتح لها الباب، ولكنه فتح الصندوق وسحب الحقيبة ووضع متاعها امام باب المسكن وهي لا تزال جالسة في مكانها. وأسفت لكونها قبلت مهمة حساسة كهذه دون ان تستدرك الصعوبات التي ستواجهها.

فتحت بوابة القصر وخرجت منها سيدة بدينة ترتدي السواد مع مريلة بيضاء، وبابتسامة عريضة هبطت الدرجات ومدت لها ذراعها.

ـ الآنسة ايفريت، اهلاً وسهلاً بك. انا ارنستين المسؤولة عن قصر السيدة دوبريان، ان سيدتي ترصد صوت السيارة، لقد تأخرت. يبدو انك انتظرت طويلاً في المحطة؟

ـ انتظرت قليلاً ولكن لا اهمية لذلك فانا سعيدة بوصولي ومسرورة جداً بالتعرف اليك يا ارنستين.

ـ من المؤكد انك متعبة بعد هذا السفر الطويل، غرفتك جاهزة، واعتقد انك تريدين ان تغتسلي؟ وبالتالي سأصحبك الى السيدة.

استقبلتها المسؤولة بحفاوة اعادت اليها هدوءها، وكان

الرجل قد اختفى مع امتعتها، وان كانت تفضل ان تنقلها بنفسها بدلاً من ان تقابل هذا الشخص الفظ في غرفتها.

كان المدخل واسعاً، يسبح في النور على عكس ما اعتقدت ديللي من انه سيكون معتماً. فامام السلم الحجري الكبير هناك نافذة واسعة مفتوحة في الجدار دون ان تزيل عنه طابع العصور الوسطى. جمال المكان قطع انفاسها، ولم تستطع ان تكتم حماسها.

ـ يا لها من عظمة وبهاء.

ابتسمت ارنستين وانبرت تتلو تاريخ القصر بكبرياء المالكين، وبعد ان اجتازتا الصالة وصعدتا درجات السلم توقفت ديللي لتستعيد انفاسها، ولمحت من النافذة جزءاً من الباحة والحديقة، شجيرات الورد ما زالت محمية من الجليد بساحة من القصب. وادهشتها الجدران التي تحيط بالباحة، هنا أيضاً مساحة كبيرة من الازهار كانت متفتحة، والسكن اجريت عليه تعديلات أساسية، لكن المهندسين المعماريين كانوا قد اخذوا بعين الاعتبار المحافظة على الشكل الخارجي بطابعه الوسيطي.

ـ ارى ان السيدة دوبريان أجرت تحسينات عديدة، وبذوق كبير. يبدو انها تحب ان تحيط نفسها بالاشياء الجميلة.

ارنستين نظرت اليها نظرة استجوابية وقالت:

ـ هل حدثك السيد رايس كثيراً عن أمه؟

ـ نعم يا ارنستين بالتأكيد!

ولم تشأ ديللي ان تعترف بالحقيقة فهو لم يحدثها قط عن امه.
- هذا صحيح فالسيدة كانت دائماً تحب الجمال.
ثم تنهدت واضافت:
- ولا تزال.
وتابعت المسؤولة صعودها قبل ان تتمكن ديللي من استجوابها عن معنى هذه الملاحظة. ثم سارت في ممر طويل مزين بالسجاد القديم بصور مشاهد الصيد، وفي نهايته فتحت باباً لتدخل ديللي.
- ها انت في منزلك.
ديللي لم تصدق عينيها، الغرفة فسيحة والنوافذ مفتوحة على الباحة. وامام الحائط ينتصب سرير بقوائم على طراز المنطقة، مغطى بالحرير الاصفر. وعلى طاولة وضعت مجموعة من الازهار بانسجام جميل، والارض مفروشة بسجاد سميك من الصوف الذهبي، وهناك باب يفتح على حمام حديث وفاخر.
- هل انت مسرورة؟
- نعم. الغرفة رائعة، يبدو انها مريحة جداً.
فارقتها الابتسامة عندما شاهدت امتعتها بجانب الخزانة، اذن لقد جاء الى هنا ويعرف ان هذه هي غرفتها، ومن جديد عاودها السؤال:
- من يكون هذا الرجل بالتحديد؟
وفكرت ان تسأل ارنستين، لكن شيئاً منعها. ستنتهي بان تعرف ذلك، ان طرح السؤال على ارنستين سيكون مضايقة

لها، وستتساءل لماذا لم يذهب السائق الى المحطة، وهذا يمكن ان يثير فضولها وقد يعرضها لطرح اسئلة مثيلة ليست على استعداد لأن تجيب عليها. كيف ستشرح لارنستين التنافر المتبادل وهي نفسها لا تعرف الاسباب؟
تنازلت ديللي عن اندفاعها، وطلبت مفتاح الغرفة من ارنستين.
- ها هو يا آنستي.
قالتها وهي تسحب مفتاح الغرفة من مجموعة تحملها حول رقبتها كعقد طويل.
- ولكن ليس من الضروري الاغلاق بالمفتاح، فانت في أمان تام هنا. على كل حال، اذا كنت مصرة على ذلك.. سأمر لاصحبك الى السيدة. هل تكفيك نصف ساعة لتحضري نفسك؟ لانه بعد ذلك سيحين موعد تناول العشاء.
- شكراً يا ارنستين، هذا مناسب لي تماماً.
ادارت ديللي المفتاح في القفل بعد ذهاب ارنستين، وفوجئت بانها تغني وهي تبدل ملابسها، ونسيت الم رجلها. وجربت خطوات راقصة وهي ترمي ثيابها في كل الاتجاهات مع انها منظمة الى درجة لامتناهية. موقع القصر رائع، والغرفة مريحة، وهي شغوفة بالعمل الذي ينتظرها.
كانت درجة حرارة المياه جيدة، وكل ما في الحمام يتمتع برائحة عطرة لطيفة. وتمددت في المغطس لتمحي آثار تعب السفر. وعندما تذكرت ارنستين اسرعت في الخروج من

الحمام.

اي فستان ستختار؟ لفت حولها منشفة صفراء، وبدأت تفتش في حقيبتها. وقرع الباب.

لقد جاءت ارنستين. ادارت قفل الباب وفتحته على مصراعيه.

انه... هو. صوب نظراته الى عينيها ثم ادارها في ارجاء الغرفة، واخيراً عاد ليتفحصها من راسها الى اخمص قدميها بتأنٍ آسر مما جعلها تحمر وتتضايق من كونها غير قادرة على ان تكتم انفعالها.

- انت! ماذا تفعل هنا؟

أمسكت منشفة الحمام بيد مرتجفة محاولة ان تستعيد احترامها.

- لقد نسيت الحقيبة في العربة. ولن تتخيلي بان هناك شيئاً آخر يمكن ان يجذبني الى غرفتك؟

ثبت نظره عليها بطريقة وقحة وظلت ديللي غير قادرة على الكلام ولكنها لم تحوّل نظرها رافضة ان تظهر له مقدار الاهانة، وشعرت بانها قصيرة جداً بالنسبة الى قامته المنتصبة امامها.

بدا لها مختلفاً. انه الآن اكثر طولاً واكثر تمدناً، واعتبرت ان هذا التحول كان بسبب الملابس التي يرتديها. قميص بيج من الحرير، ربطة عنق بلون ازرق سماوي معقودة بشكل رائع، وبدلة من المخمل الكحلي الغامق ذات تفصيل جميل جداً.

وتحت هذا الغلاف المطمئن، احست بالطبيعة الحقيقية

لمحدثها. بدائية بركانية وخطرة... ولا تزال تجهل من هو.

- شكراً، ضعها هنا.

قالتها بلهجة آمرة وهي تشير باستخفاف الى مكان قرب الباب.

ولم تشأ ان تأخذ منه الحقيبة خوفاً من ان تسقط عنها منشفة الحمام. رفع حاجبيه ليظهر تعابيره المندهشة والساخرة.

- لا تحاولي ان تجعليني أصدق بان سقوط المنشفة سيضايقك. فانا لا انتظر منك هذا الاحتشام المفتعل.

في هذه اللحظة، فهمت ديللي انه قرأ قصائد رايس والاهداء. لكن هذا لا يفسر كل هذه العدوانية نحوها.

«على كل حال، ان اخلاقياتي لا تهمه، ولن احني رأسي لافصح عن براءتي وهو الآخر لا يملك قلب طفل بريء».

- انا لا اسمح لأحد بان يحاكم حشمتي، حقيقية كانت ام مفتعلة.

- في هذه الحالة كان عليك الا تفتحي الباب لأي كان.

- كن اكيداً، لو انني عرفت الذي خلف الباب لما فتحت، لكنني ظننت انها ارنستين، والآن ضع الحقيبة وانسحب فوراً. ارجوك.

ولكي يعيب تقدم اكثر داخل الغرفة ووضع الحقيبة على السجادة ولم يتعجل الرحيل. على العكس تفحص الغرفة بعناية وبتباطؤ مقصود، تاركاً نظره ينسحب على السرير باصرار مهين.

واخيراً عاد بنظره وبكل تمهل الى ديلي.

- تأكدت الآن ان لديك احساساً مسبقاً بانك هنا في منزلك.

- هذا طبيعي جداً، لقد دعيت الى هنا واعتقد انني سأمضي عدة اسابيع.

- قد تغيرين رأيك، فالحياة هنا تجري بايقاع بطيء. ولا يوجد في القصر ما يرضي فتاة مثلك.

- كيف تعرف اي نوع من الاشخاص اكون؟ اتيت الى هنا للعمل وليس للمتعة، والآن ارجوك، اتركني وحدي...

- كما تريدين.

هز كتفيه واتجه نحو الباب وقبل ان يغادرها القى عليها نظرة اخيرة، نظرة احتقار.

- نحن هنا... نرتدي ثيابنا من اجل العشاء.

اعلن ذلك بصوت ساخر ثم اغلق الباب وابتعد بهدوء.

جلست ديلي على حافة السرير مرهقة من ضغط اللحظات الاخيرة. انه يرتدي هذه الملابس للعشاء اذن. اي سيكون على طاولة السيدة دوبريان.

توجهت الى حقيبتها وهي لا تزال ترتجف وسحبت منها الفستان المخملي الاخضر الغامق الذي لم يتحمل عناء السفر كما حصل لديلي.

اشترت ادوات التجميل هذه قبل ان تغادر لندن.

وفي لحظة انفعال جنونية لبست قميصاً ضيقاً باكمام طويلة تنتهي بدانتيل وتنورة واسعة. مشطت شعرها لتزيل عنه آثار

البلل وتركته يتساقط بحرية على كتفيها. وعندما فكرت بالمرأة التي اشتهرت بجمالها الاخاذ، وضعت بعض مواد التجميل على وجهها وعينيها بعناية لتتلاءم مع ملابسها، وبينما كانت تخطط شفتيها بالأحمر وتفكر بذلك الرجل الذي يدعو للقلق، قرعت ارنستين على الباب. وكانت ديلي قد اعادت تنظيم غرفتها، ولبست الكلسات الانيقة والحذاء البراق. شع وجه ارنستين بابتسامة مازحة عندما رأت ديلي جاهزة للعشاء.

هتفت وهي تصفق بيديها:

- يا لجمال الآنسة. السيد راوول سيسقط من الصدمة.

السيد راوول. هذا اذن اسمه، ولكن من هو؟

٢ - عشاء في القصر

الصالون الواسع اثار اعجاب ديللي كثيراً . لاحظت بعض القطع المرصعة الرائعة ، ودارت نصف دورة حول المدفأة الأثرية . الأرائك والمقاعد توحي براحة حقيقية . اللون الأحمر الغامق يسيطر على السجاد الشرقي القديم المفروش على الأرض الخشبية اللامعة ، وعلى الجدار الخاص بالمدفأة وضعت اضاءة داخلية ، وبالتأكيد فان الحجارة المجلوّة التي كان لها بياض الكلس ، ساهمت في اضفاء جو مشبع بالتهوية على هذا الصالون . كما علق عدد من اللوحات على بقية الجدران ، ظنت ديللي انها تعرف واحدة لجوجان ، ورجل الجمارك لروسو واخرى لموديلياني ، وتملكتها الرغبة بتفحص كل قطعة اثاث عن

قرب ، كل لوحة وكل كتاب . ولكن ارنستين قطعت عليها تأملها .

- السيدة دوبريان تنتظرك ، التحقي بها قرب المدفأة يا آنسة .

خرجت ارنستين بعد أن اغلقت الباب بهدوء تاركة ديللي وحدها مع السيدة دوبريان . وتقدمت ديللي بخجل ، بخطوات مترددة نحو المدفأة ، وتوقفت في منتصف المسافة . لم يكن هناك احد .

- تقدمي اليّ يا عزيزتي .

قفزت ديللي خائفة ، اذن السيدة العجوز كانت هنا ، لا شك انها مسترخية على اريكة كبيرة بحيث لا ترى الا من أعلى المسند .

- تعالي دليلة ، لا تكوني خجولة ، وسترين انني لست مفترسة .

كان الصوت عميقاً دافئاً ، ونادراً ما سمعت احداً يناديها باسمها الحقيقي دليلة ، ولم تسمعه بهذا الجمال من قبل .

تقدمت بخطوات كتمتها السجادة السميكة ، وتوقفت امام اوجيني دوبريان . كما تخيلتها كانت جالسة مقابل المدفأة ، غارقة في الأريكة التي جعلتها تظهر اكثر رقة واحساساً مما هي عليه في الحقيقة .

ترددت ديللي ، كان الصوت ودوداً ولكن قد يكون هذا ضرباً من خيالها لأن السيدة دوبريان بقيت تماماً بلا حراك ، ولم

تنهض لاستقبالها ، ولم تلتفت حتى بوجهها نحو ضيفتها . رأسها كان ثقيلاً منحنياً الى الأمام ، ويداها الشفافتان البارزتا العروق موضوعتين على الركبتين .

- دليلة هل انت هنا ؟

احست ديللي بصدمة كبيرة ، الآن فهمت ان السيدة كانت عمياء .

ولو لم تكن خطوبتها مع رايس مفتعلة ومختلقة من قبل عمها لكانت عرفت وفهمت تماما انها لم تعرف الا القليل عن رايس ولا شيء عن اسرته .

- هل انت دليلة ؟

أسرعت ديللي وركعت قرب رجلي السيدة ، معقودة اللسان ، غير قادرة على قول كلمة واحدة . وضعت اصابعها المرتجفة بالقرب من اصابع مضيفتها وبعد لحظة تماسكت نفسها وأجابت بنبرة مترددة :

- نعم يا سيدتي ، انا ديللي .

رفعت السيدة يدها ومدتها باتجاهها وكأنها تريد ان تزيح الستارة التي تمنعها من رؤية ديللي .

- انا سعيدة جداً ، ولا يمكنك ان تعرفي مقدار السعادة التي تهبيني اياها .

اتجهت بعينيها المطفأتين نحو ديللي التي لم تتصور انها قد ترى في حياتها جمالاً كهذا ، اوجيني دوبريان الآن امرأة عجوز ولا بد انها انجبت ابنها رايس في سن متقدمة .

شعر شديد البياض كالثلج ، ووجه مخطط ببعض التجاعيد ، بشرة بلون الرماد القديم مشدودة على هيكل شديد الدقة . الجسم بكامله في انسجام لا يقارن ، وجنتان عاليتان ، ذقن مستقيمة ، انف مرسوم بشكل حسن ، واذنان ناعمتان تعطيان وجهها نوعاً من الارستقراطية . الفم لا يزال شاباً بشكل غريب نسبة الى امرأة بهذه السن مما ذكر ديللي بفم آخر ، دون أن تستطيع تحديده .

- كانت رغبتي قوية في لقائك يا دليلة . (قالتها بابتسامة كشفت عن أسنان براقة جميلة) . اهلا وسهلاً بك في مونبيردو .

- شرفني ان أتلقى دعوتك يا سيدتي ، وآمل أن احظى باستقبالك لي مدة شهر أو اثنين .

- بالتأكيد ، ولكني آمل أن تبقي اكثر . . . وان كان هذا الطلب سابقاً لأوانه .

وشاح من الحزن غطى معالم السيدة ، وهذا ما اقلق ديللي . وشعرت بالخجل من الدور اللذي جاءت تمثله ، ولكي تخفي خجلها ارغمت نفسها ان تتابع الحوار :

- يجب قبل كل شيء ان احدد كمية الوثائق التي سأعمل عليها .

عادت الابتسامة الى وجه السيدة وقالت :

- جبال من الأوراق ، طيلة هذه السنوات التي كان فيها رايس هنا وهناك إمّا في الفنادق أو عند الأصدقاء ، ولكن ليس

في بيته على الاطلاق . كان يرسل الينا الوثائق لكي نحفظها له ، كان يلزمه حقيبتان ، واحدة للملابس واخرى للمخطوطات . يا للمسكين لقد عاش حياة المتشردين .

تنهدت السيدة بعمق .

قاطعتها ديللي :

ـ انا حزينة . . .

ـ لا تقولي اكثر من ذلك . انه حزن مشترك ، ولكن بدون شك انك تتألمين اكثر مني . لقد مر وقت طويل لم يأت فيه الى هنا .

ـ كانديتحدث دائماً عن اوفيرن وعن رغبته في زيارتك .

ـ لقد سعدنا جداً عندما عرفنا بخطوبتكما ، وفكرنا بانه لربما . . .

وتوقفت السيدة عن الحديث فقد انعقد لسانها من الانفعال .

ـ انا متفائلة من سير الأمور .

ديللي تكذب بلهجة تأمل ان تكون مقنعة .

ـ والآن يجب أن نعرف كل شيء عنك .

تنهدت السيدة واستندت الى الخلف :

ـ رايس لم يقل لنا أي شيء اطلاقاً ، انه نادراً ما كان يكتب الينا .

ـ كان دائماً يريد أن يكتب اليك شخصياً (هذه كذبة اخرى) لكن الوثائق التي كان يرسلها كانت بدون شك بالنسبة

اليه وسيلة للتواصل معك .

ـ نادراً ما تحدث الي عن نفسه . (وتنهدت بعمق اكثر) والصحف لم تكن دائماً . . . مداحة ، لكنها على الأقل أوضحت لنا شيئاً عن حياته وكتبه .

ـ كان في الحقيقة يحبك كثيراً .

ابتسامة صوفية غامضة اضاءت وجه السيدة وكأن صورة شيء جميل اخترقت هذا الحاجز من عماها . وبالحساسية الخاصة بالعميان ، شعرت بالتوتر الذي اصاب ديللي وأرادت ان تعيد اليها الطمأنينة .

ـ هيا يا عزيزتي لا تشعري بالانزعاج معي ، نحن نعرف الحياة .

ـ لكني لست . . .

وعضت ديللي شفتيها ، ولماذا تقول للسيدة بأن رايس استلهم عشرات النساء المتبدلات مع كل مدينة ومع كل فصل ومع كل مزاج ؟ نساء اثّرن فيه الواحدة تلو الأخرى ، حتى الأخيرة التي كانت من ماساشوسيتس . فهذا لا يمكن الا ان يزيد جرحها ألماً . وهي تألمت بما فيه الكفاية . رفعت رأسها وقالت بصوت واضح :

ـ اؤكد لك انني لست متضايقة .

وبدأت السيدة تداعب بحركة لا شعورية العقد الذي يحيط عنقها وكأنها غرقت في احلامها .

ـ انا ايضاً كنت شابة واتذكر ذلك .

خيم صمت محير ، وحاولت ديلي ان تجد الكلمات الملائمة للموقف .

ـ كان رايس يملك موهبة كبيرة .

ـ نحن عائلة فن ، والده كان من بلاد الغال والغاليون يجري الشعر في دمهم وأجدادي كانوا أهل أدب . هذه وراثة وانا فخورة بها .

ـ رايس كان ايضاً فخوراً بهذا .

هذا ما عبرت عنه ديلي بصدق .

ـ والآن حدثيني عنك ، اروي كل شيء بالتفصيل ، اود ان اعرف كل شيء عنك .

ـ ليس هناك الشيء الكثير.

توقفت ديلي عن الكلام ، وفرحت عندما فتح الباب ، ولكن فرحتها لم تدم طويلاً . الرجل الذي دعته ارنستين راوول كان يراقب المشهد وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة ، وبعد لحظة ، اقترب من الموقد .

راوول . ديلي كانت قد قرأت في مكان ما ان هذا الاسم مأخوذ من كلمة ثعلب . وهذا مطابق له تماماً لانه يمتلك شيئاً من صفات حيوان جائع قاس . ولكن من هو هذا الرجل ؟

ستعرف ذلك حالاً لانه انحنى أمام السيدة باحترام وقال لها بلطف :

ـ امي ، يجب الا تتركي الآنسة ايفريت تتعبك .

ابنها ، اخو رايس ، لكن رايس لم يكن له اخ . ثم تذكرت

ان اوجيني دوبريان كانت قد تخلت عن ابن عندما هجرت زوجها الأول لتلتحق بوالد رايس .

ـ لكنها لا تتعبني ، راوول ، أنسيت طريقة السلوك الحسن مع الآخرين ؟ ولا يجب أن تنادي خطيبة اخيك بالآنسة ايفريت ، ألم تتعارفا أثناء عودتكما من المحطة ؟ اود ان تناديها دليلة .

انتصب راوول بقامته الطويلة وقطب عينيه .

ـ اذن دليلة .

ولفظها بلهجة سيئة .

ـ راوول كف عن مداعباتك ، وقم جهز لنا كأساً من الشراب ، ومن الأفضل أن نناديها نحن أيضاً بديلي . عزيزتي هل تأخذين انت أيضاً كأساً من الشراب ؟

ـ بكل سرور ، شكراً سيدتي .

ارادت ديلي أن تصفع هذا الوقح ، ولكن لحسن حظه كانت السيدة دوبريان موجودة . بدأت تحرك السائل الذي في الكأس محاولة استعادة هدوئها . وعندما رفعت رأسها التقت نظراتها بنظرات راوول الذي كان لا يخفي احتقاره . وكأن السيدة دوبريان أحست بالجو المتوتر ، تدخلت بصوت لطيف :

ـ لدينا الكثير مما نود معرفته ، اليس كذلك يا راوول ؟ ديلي حدثينا عنك .

اجابت وهي تزداد حيرة :

- ليس هناك الكثير مما يقال .

- نحن نعرف انك تعملين في دار النشر مع عمك ، وتعملين بشكل ما في تسيير اعمال أهل الأدب كما فهمت من رايس ، وهكذا تقابلتما ، ولكننا نجهل كل شيء عنك .

فتمتم راوول :

- وفي الوقت نفسه نحن نعرف اشياء كثيرة .

ولكنها تجاهلته وكأنها لم تسمعه .

- اعيش مع عمتي وعمي اللذين احتضناني بعد وفاة اهلي

- كم عمرك ؟ فانا لا استطيع ان اتكهن بهذه الأشياء .

- اربع وعشرون سنة .

- عظيم ، فالحياة ما زالت امامك . يجب ان تقصي علي كل شيء ، من تشبهين ، كيف تمشين ، ماذا تلبسين . . .

قرع الباب من جديد .

- العشاء جاهز سيدتي .

نهضت السيدة بحذر ومدت يدها باتجاه راوول الذي امسكها والتفت الى ديلي .

- نحن عادة لا نتعشى في صالة الطعام الكبيرة لأنها واسعة جداً بالنسبة الينا ، فعندما نكون شخصين او ثلاثة نستعمل غرفة صغيرة ولكنها جذابة .

قالت ديلي وهي تنهض بدورها :

- سأموت من الجوع .

- هذا من حسن حظك ، لأن وجبتنا الرئيسية هي وجبة

العشاء . وقد اكتسبت هذه العادة من البلاد الأخرى .

اجتازت السيدة دوريان الصالة مستندة الى يد ابنها وبخطوات صغيرة .

- ارجو الا تلوميني لأنني كنت السبب في أن لا يمد لك راوول ذراعه لأنك انت المدعوة . ولكن للأسف للضرورة أحكام .

اكدت ديلي بابتسامة :

- لقد أصبحت فتاة شابة .

- حتى الفتيات الشابات بحاجة احياناً للاعتماد على ذراع قوية . في زماني . . .

وتركت الجملة معلقة . كانوا قد وصلوا الى الغرفة الصغيرة . كيف يمكن أن تكون صالة الطعام الكبيرة ؟ تساءلت ديلي ، فعلى الجدران عدة لوحات وسجاد متعدد الألوان من الطراز المعاصر . وهنا ايضاً ارادت أن تتفحص كل قطعة على حدة . الطاولة مصنوعة من خشب المنطقة والكراسي التي تحيطها مصنوعة بشكل رائع بالاضافة الى كونها مريحة جداً .

دخلت الخادمة حاملة طبق الحساء الشهي ، وعرفت ديلي ان الخادمة من سان جوست وتدعى هيلويس وقد تدربت على يد ارنستين . استمرت المحادثة طيلة فترة العشاء التي تعاقبت فيها أنواع الطعام . سمك باللوز ، فخذ خاروف بالجبن المفروم والصلصة ، سلطة العدس الأخضر ، عدة أنواع من اجبان المنطقة ، وكان هذا اكتشافاً بالنسبة الى ديلي التي لا

تعرف منها الا نوعاً واحداً ، توت بري بالكريما .

ظل راوول صامتاً ، يبدو انه قرر ألّا يتعرف بديللي وهذا يناسبها ، على عكس السيدة دوبريان التي لم تتوقف عن الثرثرة ومن المؤكد انها كانت سعيدة بوجود شخص جديد . اما ديللي فقد اثنت على انواع الطعام الطيبة ، وفي الوقت نفسه كانت مسرورة باصغائها الى الطرائف التي تملك منها مضيفتها مجموعة لا تنتهي . وتجنبت بحذر شديد ان تنظر الى الطرف الآخر من الطاولة خوفا من أن تقع عيناها على النظرة العابسة الوقحة التي تعودت أن تخافها .

- عزيزتي ، تركتني أتحدث عنا ، عن القصر ، عن الفن ، لكني احب أن اسمعك انت .

ثم مدت السيدة اصابعها لتحدد موضع فنجان قهوتها . وانها تدبر امورها لوحدها بروعة متناهية حتى اننا ننسى انها عمياء .

قالت السيدة بصوت حازم:

- والآن لنتحدث عنك . ويجب أن تسامحي فضول سيدة عجوز مثلي .

ووجدت ديللي صعوبة كبيرة في أن تمهلها قليلاً .

تساءلت ديللي بضحكة فيها شيء من الخوف ، آملة أن لا تأخذ الأسئلة طابعاً ذاتياً اكثر من اللازم :

- ماذا تودين أن تعرفي ؟

- ابدئي بوصف نفسك .

- ارتدي فستاناً اخضر . طويلة القامة ، شعري احمر .

صرخت السيدة بنفاد صبر :

- هذا ليس كافياً . كانت لدي في باريس خادمة تتطابق مع هذا الوصف . انك تقليدية اكثر من اللازم . ولن تصبحي كاتبة جيدة على الاطلاق ، اليس كذلك يا راوول ؟

اضافت :

- انني نحيلة الى حد ما .

- لكن صوتك ليس رفيعاً ، وليس كصوت الخادمة . اود أن اعرف اكثر ، ولكني الاحظ انك لا ترغبين في مساعدتي .

ثم التفتت الى نهاية الطاولة حيث يجلس راوول .

- راوول ، انا مضطرة ان التجيء اليك ، ستكون انت عيني ، صفها لي . انا متأكدة من انها تستطيع ذلك اذا بذلت شيئاً من المجهود .

قالت هذه الملاحظة بنبرة موضوعية . لكن كل تعابيرها كانت تترجم مقداراً من الاستهجان .

- راوول ما هو لون شعرها ؟

حدجها بنظرة متمهلة ثم ركز عينيه عليها بطريقة وقحة بعد أن استند بارتياح على مقعده مما جعل ديللي تفقد راحتها اكثر فاكثر .

- الشعر ، لنقل اشقر غامق ، لوحة اصلية لتيتيان ، ومن المؤكد ان هذا لونه الطبيعي ، يبلغ طوله الكتفين .

كانت ديللي صلبة وحاولت ألّا تبدي ارتباكها .

- البشرة ناعمة جداً ، تكاد تكون شفافة ، تذكّر بالشامواه .

صعد الدم الى وجهها وأحست بانها لا يمكن أن تكره أي شخص كما كرهته ، اما السيدة فقد رسمت على وجهها ابتسامة رضى وقالت :

- حتى الآن ، الوصف ملائم لصوتها .

- العيون رمادية ، رمادي شاحب بعض الشيء ، كان يجب ان تكون على غير هذا اللون للتلاؤم مع لون الشعر . اما اتساعها فيضفي عليها مظهراً مضللاً ، شبه بتولي .

« مضللاً »! شدت على قبضتيها وشحب لونها .

- الأنف عادي .

وهنا أرادت أن تخنقه .

- والفم يا راوول ، كيف هو ثغرها ؟

- كبير ، ولو كنت سارسمه ، لبدأت بمسح حمرة الشفاه عنه ، لأن هذا الأحمر يعطيه شيئاً من . . .

- الابتذال ؟

قاطعته ديللي ، غير قادرة على كبح ثورتها .

- انت التي قلتها ولست انا .

كان صوته ساخراً بوضوح ، وكأن اضطرابها كان سبباً في انتعاشه .

- راوول ، يا لك من غبي ، النساء بحاجة لهذا التكلف بعض الشيء ، تابع الذقن من فضلك ، بدأت اراها . . .

- الذقن ؟ انها الآن تميل الى الأمام لأنها في حالة سخط ، ولكنها بشكل اجمالي على جانب من الأهمية ، الهيكل العام دقيق وأنيق والرقبة طويلة ، الاسنان صغيرة ومرصوفة بشكل جيد .

- تابع يا راوول صف لي الباقي ، كل الباقي .

- الباقي لا حاجة للتوقف عنده .

رجتها ديللي بيأس :

ارجوك يا سيدة دوبريان .

- سامحيني يا عزيزتي ، نتوقف هنا اذا كنت مصرة على ذلك .

قالت ذلك بصوت ناعم لكن خيبة الأمل اظهرت تجاعيد وجهها اكثر . ترددت ديللي لحظة قبل ان تعود لترضي والدة رايس .

- لا ، لنتابع . لدي انطباع بأنني فراشة معلقة على الحائط .

- لكن فراشة جميلة حسبما اسمع

ولاحظت ان السيدة استعادت مرحها

- ومن بعد اذنك ، راوول سيتابع .

- قامتها طويلة ، طويلة جداً حسب ذوقي .

« بالفعل انها لخسارة » ، قالت لنفسها وهي تدير وجهها نحوه . والآن فهمت انه حتى هذه اللحظة كان يتحاشى نظرتها تماماً .

- انها أنحف من أن تكون واحدة من شخصيات لوحات تيتيان ، دون أن نتحدث عن روبنس ، وبتعابير وجهها تجعلك

بالأحرى تفكرين بلوحات موديلياني ، ويمكن أن تحل محلها ، لكنها ربما اكثر ، كيف اقول . . . مغرية ، متحدية .

اجبرت ديللي نفسها أن تبتسم ، انه هو الذي يظهر نفسه مغرياً ومتحدياً . ولكنها قررت ألاّ تبدي رد فعل ، مع انها تساءلت لماذا يكرهها راوول الى هذا الحد ؟

ـ ولننتقل الآن الى يديها ، الأظافر تدل على صحة جيدة ومطلية بشكل خفيف . الأصابع نحيفة طويلة ، لكنها ليست رشيقة بما فيه الكفاية بالنسبة لطبيعة فنية ، وليست مستديرة كما يجب بالنسبة لعقل عملي ، تكشف انفعالاتها . لقد تعلمت ان تتحكم في حركات ذقنها وفمها ولكن ليس بحركات يديها .

وكانت ديللي تلعب بعصبية بقطعة خبز ، فتوقفت حالاً .

ـ الفستان ، اختارته بمهارة ، مخمل اخضر . لطيف جداً ، شكل الأكمام من العصور الوسطى مع نهايات من الدانتيل . انها لبارعة جداً لمسة البراعة هذه . . .

قالت في سرها: « وليذهب الى الجحيم بالغازه . . »

ـ فتحة الصدر كبيرة وعميقة مفصلة على شكل مربع وهي اقل براعة من الأكمام ، العنق شديد البياض لا يحمل عقدا ، والتنورة واسعة فيها كثير من الأنوثة مع حذاء بكعب عال .

ابتسمت السيدة العجوز برضى .

ـ القميص ضيق جداً على الصدر .

علت الحمرة وجه ديللي ، وومضت عيناها غضباً .

ـ يجب أن نضيف بأنها تترفز بسرعة ، يا له من طبع .

لفظ هذه الجملة الأخيرة بصوت خفيف ولكنه يوحي بأنه كان يغلي غضباً وبحركة مجفة اطفأ سيكارته في المنفضة .

صرخت السيدة وهي تصفق :

ـ رائع . فتاة جميلة تماماً كما يتمناها قلبي .

ـ ليست جميلة تماماً .

بهذه الملحوظة قاطعها ابنها بلهجة صارمة .

ـ راوول ، ارجوك .

قاطعته السيدة العجوز دون أن تخفي انفعالاتها ، ثم التفتت الى ديللي .

ـ ارجو أن تسامحي راوول يا عزيزتي ، فان له احياناً بعض السلوك الخشن ، لكن بالنسبة الي فأنت كنّتي .

التفتت ديللي الى راوول ورمته بنظرة قائلة :

ـ شكراً يا سيدتي ، وهذا ما يشرفني .

ـ أترى يا راوول كم هي عاقلة . ديللي انك من العائلة ، تجاهلي ابني ، يسره ان يظهر بمظهر الوقح ، ولكنه من المؤكد انسان مستقيم وشريف ولا يمكن أن يكذب . لقد احببت الوصف الذي رسمه لي عنك وارجو منك أن تناديني اوجيني .

وبشكل واضح كانت السيدة مسرورة جداً .

٣ - حادث مع العدو

شعاع من الشمس أيقظ ديلي ، فاستدارت وغرست رأسها في المخدة ، ولكنها لم تستطع النوم . فغادرت السرير الناعم متأسفة ، وارتدت روب دوشامبر من المخمل الأحمر ، ثم اقتربت من النافذة . لقد أمطرت في الليل وعادت الى الجو شفافيته . النهار سيكون جميلاً ، مثالياً لاكتشاف الضواحي ، لكن ديلي لم تنس انها موجودة هنا في مونبيردو لعطلة دراسية .

وما كاد النهار يطلع حتى تساءلت ديلي اذا كان استيقظ أحد في القصر . الجواب اتاها من الباحة ، حيث شاهدت رجلاً يمر بثياب العمل . احدى ذراعيه ملفوفة بقطعة قماش ، وتحت الاخرى حمل أدوات متنوعة للحديقة . واليد السليمة بدا

يزيح القش والقصب الذي كان يحمي شجيرات الورد ، مما يبشر بقدوم الصيف .

نشفت ديلي نفسها بعدما اغتسلت بسرعة ثم فتحت الخزانة التي كانت قد رتبت فيها ثيابها مساء البارحة قبل أن تنام ، وأخرجت منها تنورة خضراء من المخمل المضلع وكنزة سميكة من الصوف الأصفر . ارتدت ملابسها وتفحصت نفسها في المرآة الكبيرة الموجودة جانب الخزانة . فالطريقة التي انتقد بها راوول شكلها اثارتها جداً واعجبتها الصورة المنعكسة الآن في المرآة . وبحركة حازمة نفضت الكنزة السميكة في الخزانة وأخرجت اخرى رقيقة جداً ولبستها . ستريه اذا كان شكلها على غير ما يرام ، ولكنها في الحقيقة عندما نظرت الى نفسها مجدداً في المرآة شعرت بنوع من الخجل ، لأن تفاصيل جسمها كانت مكشوفة جداً .

وفي الصالة التقت بارستين واقترحت عليها ، لكي لا تغير عادات القصر ، أن تتناول افطارها فيما بعد بصحبة السيدة دوبريان .

- بشكل عام السيدة لا تنزل الا في وقت متأخر ، يمكنك أن تتناولي طعامك الآن . كما يفعل السيد راوول احياناً .

- هل استطيع أن اتناول طعامي في المطبخ ؟ لأنني اود أن اراه .

سألت ارستين بدهشة :

- المطبخ ؟ بالتأكيد ، سأصحبك اليه يا آنستي ولكنك

ستناولين طعامك في الغرفة الصغيرة المخصصة لذلك .

المطبخ كان واسعاً يحتوي على مجموعات من الأدوات المطبخية النحاسية البراقة المعلقة على الجدار على شكل خطوط جميلة ، وفي آخره مدفأة كبيرة جداً تتسع لشواء بقرة كاملة . وفي الوسط طاولة اثرية ، والى اليسار فرن مع مجموعة الادوات المطبخية الحديثة ، والى اليمين مجموعة من الخزائن والأبواب تقود الى القبو .

كانت هناك سيدة بدينة مشغولة بتقطيع الخضار ، ترتدي فستاناً قديماً اسود اللون مع مريلة بيضاء خرجت لتوها من تحت المكواة ، التفتت نحو ديللي بوجه عابس .

ـ اقدم لك ماري آنج يا آنسة ، انها متحيزة جداً لطبخها .

وجهت اليها ديللي ابتسامة .

ـ يمكنك ان تطمئني يا ماري آنج فأنا سيئة من هذه الناحية ، ولكني اتذوق الطبخ الجيد ولم احضر الى هنا إلا لأهنئك .

اشرق وجه ماري آنج العابس بعد أن خرجت ديللي وارنستين .

ـ حتى انا شخصياً ، لا اجرؤ أن اتدخل في وجبات الطعام ، فهذه الحقوق محفوظة لها فقط .

سألت ديللي وهي تتناول طعامها :

ـ من هو هذا الرجل الذي شاهدته في الحديقة ؟

ـ انه غاسبار ، السائق والبستاني الذي كان على السيد راوول أن يحدثك عنه . لقد وقع في اللحظة التي كان عليه فيها

أن يأتي الى المحطة لاستقبالك . ولحسن الحظ لم تكن النتائج خطيرة ، ولكن توجب على السيد راوول أن يقود الرينو القديمة التي لا يحب قيادتها ، لأن امتعتك لا تتسع لها سيارته الخاصة .

وبعد أن أنهت طعام الافطار عادت الى المهمة التي اتت من اجلها .

ـ السيد رايس ارسل الى القصر في بحر هذه السنة مجموعة من الوثائق والمخطوطات . هل انت على علم بذلك ؟

اجابت ارنستين باشارة من رأسها والقت على ديللي نظرة حادة . « انها هي الأخرى قرأت كتاب رايس الأخير» قالت لنفسها « هذا مؤكد ، فهي التي تقرأ بصوت مسموع للسيدة دوبريان» .

ـ اود ان اطلع عليها . هل يمكنك أن تقولي لي اين هي موجودة ؟

ـ لا يا آنسة ، انا آسفة لا يمكن ، فالمفتاح لدى السيد راوول .

ـ واين يمكنني أن اجد السيد راوول ؟

ـ لا اعرف متى يعود ، لقد ذهب باكراً هذا الصباح بسيارته .

احست ديللي بالسخط مجدداً ، راوول يعرف تماماً انها اتت الى هنا لتتفحص أوراق رايس ، كان بامكانه على الأقل ان يترك المفتاح تحت تصرفها . . .

الطقس جميل ، ولماذا انتظر شخصاً قد لا يعود الا في

المساء ؟ ولماذا لا انسى قليلاً العمل واستغل هذا اليوم للتنزه ؟
صعدت الى غرفتها ، انتعلت حذاء سهلاً للمشي ونزلت الى الباحة . الشمس كانت اكثر حرارة من البارحة وكذلك الكتلة المظلمة للقصر بدت اكثر بهجة . شعرت ديلي بأنها استعادت مرحها ونسيت الم رجلها . الطريق المليئة بالحصى ما زالت رطبة ومليئة بأعشاش الدجاج ، وعلى جانب المنحدر ما زالت تجري السواقي الصغيرة ، وفي الجو زقزقة العصافير وتغريد الطيور المستمر . لقد فجروا الصخرة ليفتحوا طريقاً ضيقة ترابية عند المنعطف محاطة بجدران من الكلس حيث نمت بعض النباتات والأعشاب . ولكن هذه الطريق سيئة بعد أن حفرتها السيارات ولا تصلح للمشي الا في الوسط ، وفكرت ديلي أن تستغل النفق لتسير فيه لان الشمس لا يمكن أن تدخل اليه .

وفجأة اخترق الصمت ضجيج محرك سيارة تتقدم مسرعة .

لم تعد ديلي تتذكر اذا كانت الطريق طويلة ام لا ، وقررت أن تعود مسرعة علّها ، اذا حالفها الحظ ، تستطيع أن تصل الى آخر الممر الخطر قبل وصول السيارة .

وبينما هي تسير مسرعة لم تنتبه الى وجود حجر كبير فوقعت ولوت رجلها من جديد ، وسمعت تبديل سرعة السيارة مرتين متتاليتين خلفها وعلى مقربة منها مع صوت ازيز المحرك . الشيء الوحيد الذي كان يمكن أن تفعله هو أنها تسلقت قاعدة جدار صخري . وتمسكت بحزمة من الأعشاب ، محاولة أن ترتفع قدر الامكان عن الطريق لتفسح مكاناً لمرور السيارة ،

التي مرت بأقصى سرعة ، ثم توقفت في حركة متعرجة مع فرملة صاخبة . وفي هذه اللحظة الحرجة تزحلقت وسقطت على الأرض ساحبة معها التراب والحصى . خفق قلبها وبصعوبة استعادت أنفاسها . كانت مستلقية على ظهرها ، التنورة فوق الركبتين ، ألقت نظرة على السيارة التي كادت أن تقتلها ، متوقعة أن ترى الرينو . ولكنها رأت سيارة سبور ، وقبل أن ينزل السائق عرفت انه سيكون راوول . هرع اليها بوجه يقطر غضباً .

ـ مجنونة . كنت ستقتلين نفسك .

انتصب امامها ولكنه لم يبد أي حركة لمساعدتها .

صرخت :

ـ انت الذي تقود كالمجنون .

وحاولت أن تنفض الحصى التي انزلقت تحت ثيابها الممزقة ، وتابعت بالنبرة ذاتها :

ـ مجنون ! أين يمكنني ، حسب رأيك ، أن احتمي عندما تظهر كالصاروخ ؟

ـ كان عليك أن تتعلمي كيف تستخدمين عينيك .

وباشارة من يده دلها على صدع في الجدار الصخري على الطرف الآخر من الطريق يختفي وراء حزمة من النباتات .

ـ هنا يوجد طريق طويل يعرف الانسان النبيه أن يحتمي به لدى سماعه صوت اقتراب سيارة .

نهضت ديلي وهي ما تزال تضطرب من فكرة ما كان

سيحدث لها ، وتفحصت نفسها . تمزقت تنورتها المليئة بالوحل ، اما معطفها الوحيد الذي أحضرته معها من انكلترا فكان سليماً ، وفردة حذائها كانت قد سقطت من رجلها أثناء تعلقها بالجدار وراحت ضحية تحت عجلات السيارة . اخذتها ووضعتها أمامه .

ـ هل تجد ان هذا كل ما يقال ؟ كان يمكن أن اكون انا مكان الحذاء . .

ـ على كل حال الخسارة ليست فادحة ، وأنا سعيد بأن هذا اقصى ما حصل لأن هذا الحادث كان سيسبب لي ازعاجات كثيرة . تعالي ، سأوصلك الى القصر . يبدو لي ، انك تسرّين بلوي رجلك . . .

وهكذا شهد سقوطها للمرة الثانية ، بعد أن رأى سقوطها البارحة ليلاً . تقدم وأخذها من ذراعها ، ابتعدت كالملسوعة ومشت نحو السيارة وهي تعرج و انه لمن الصعب أن تبدو محترمين بفردة حذاء واحدة . ، هذا ما قالته في نفسها .

قهقه راوول ضاحكاً ، وعاودها احساس البارحة بانها أهل لارتكاب جريمة . انه المسؤول وهو يسخر من حالتها ، ابداً لا يمكن أن تكره شخصاً هكذا . تركها وجلس بهدوء خلف مقود السيارة دون أن يهتم بها ، وانتظر أن تلحق به وتفتح باب السيارة لنفسها . وقبل أن تجلس ادار المحرك ، ولم تكد تغلق الباب حتى انطلق بكل قوته وطارت السيارة مما جعل ديللي ترتمي على المقعد .

ـ انت تلعب لعبة الذكر المتسلط الواثق من نفسه ، هل تعتقد انك دائماً على حق ؟

ـ هذا صحيح جداً ، انا اوافقك ولو لمرة واحدة .

اجابها وهو يتجاوز بمنتهى النظام منعطفاً صعباً .

صرّت ديللي على أسنانها لأنها تعرف ان عليها ان تصمت الآن ، وتفحصت السيارة :

سيارة سبور ماركة بورش فيها عدة سرعات ومجهزة بمقاعد عميقة لتسند الجسم ، وكانت مناسبة جداً لطريقته في القيادة .

وفي باحة القصر كان غاسبار يصلّح سيارة الرينو القديمة بيده السليمة ، والغطاء مرفوع الى الأعلى . توقف راوول وخرج من السيارة دون أن يضيف أي كلمة ، ثم انحنى الى داخل السيارة وأخذ حزمة كهربائية كانت موجودة وراء مقعده وابتعد . وفقدت ديللي صوابها من الغضب ، الا يعرف كلمة اعتذار ، يا له من شخص وقح . غادرت بدورها البورش واقتربت من الرجلين وهي تمسك فردة الحذاء .

نهض غاسبار ورفع قبعته احتراماً لها ، قبعة قديمة من الجلد تغطي اذنيه . ابتسمت له ، بادلها الابتسامة والتفت نحو معلمه وكأنه يسأله ماذا عليه أن يفعل ، ولكن راوول لم يقل شيئاً بل انكب على العمل فوراً متابعاً تجاهله الكامل لوجود ديللي .

ـ يمكنك على الأقل أن تعرفنا ببعض .

ـ غاسبار هذه ديليلة .

كانت الشيمة مركزة تماماً ، نهض غاسبار مجدداً ورفع قبعته

وثناها بعصبية بين يديه ولم يعد يعرف كيف يخفي حيرته .

- الآنسة ايفريت .

هذا ما انتهى غاسبار الى قوله .

ابتسمت له بمودة قبل أن تتوجه الى راوول .

- انا بحاجة لأن ارى الوثائق .

كانت لهجتها حازمة ، ولكن راوول تابع انشغاله بتصليح السيارة .

- عفواً ؟

قالها بعد فترة طويلة .

اخرج رأسه من تحت غطاء السيارة ورمقها بنظرة ساخرة .

- منذ قليل لم اشعر انك بحاجة اليها بهذه السرعة . كانت لديك رغبة بنزهة صباحية .

- وبما اني عدت بفضلك ، فأرجو أن احصل عليها .

نهض واقفاً وهز كتفيه .

- غاسبار ، حاول أن تتابع العمل بدوني ، ساعود بعد لحظات .

وعندما وصلا الى الصالة أسرعت ارنستين وأخذت المعطف من يدها .

- هل سررت يا آنستي بالجولة ؟ عليك أن تبدلي ثيابك .

ارنستين على حق ، ندمت ديللي لأنها الحت بالحصول على المفتاح . كان من الأفضل أن تغتسل وتبدل ثيابها لتعدل شكلها ، ولكن راوول كان ينتظر امام باب المكتب بنفاد صبر .

خلعت الفردة الثانية من حذائها والتحقت به حافية القدمين .

ادخلها وأغلق الباب وجلس خلف مكتب كبير من خشب السنديان . الجدران مغطاة بالكتب ، وعلى السجادة وتحت السلم كومة من المؤلفات . وفي زاوية من الغرفة كنبة جلدية حول طاولة منخفضة حديثة بلون أخضر رمادي .

ظلت ديللي واقفة بينما كان راوول يبحث في جارور المكتب . وفي النهاية سحب مغلفاً صغيراً وأخرج منه مفتاحين ، وضع واحداً في جيبه ، واقترب منها وبيده الثاني .

مدت يدها ، لكنه قذف بالمفتاح في الهواء ثم التقطه بمهارة .

- الا تعتقدين انه من الأفضل ان يكون شكلك اكثر ترتيباً ؟

خجلت ديللي من هذه الملاحظة بالمقدار الذي كانت خجلة فيه من حساسيتها الخاصة .

- سافعل ذلك عندما اريد ، اعطني المفتاح .

- هل يمكنك أن تلفظي جملة لو سمحت ؟

ثم ابتسم ووضع المفتاح في جيبه .

- لنبدأ بالأوامر . أولاً انت بحاجة الى حمام ، ثم الى تبديل ثيابك ، فأنت لست جميلة ابداً على هذا الحال .

- كما وصفت عيوبي البارحة .

كانت ديللي تشتعل غضباً ولكنها تبذل ما في وسعها لكي لا تفجر هذا الغضب بشكل واضح .

- البارحة ، ارتكبت اخطاء . . . يبدو لي .

وكانت عينا راوول مركزتين على تقاطيعها التي ابرزتها

البلوزة الرقيقة .

تلاحقت أنفاس ديلي . « بماذا فكرت هذا الصباح أثناء ارتداء ملابسي ؟ » قالت في سرها وارتعشت من جراء هذه النظرات كما لو انه يمد يده ليلمسها . لم يجرؤ شخص ابداً ان يتفحصها بهذه الطريقة الملحاحة . وفجأة شعرت بمرارة وقررت الا تقاوم .

ـ لو تترك لي المفتاح الآن لن ازعجك بعد ذلك .

امرها بلهجة قاسية :

ـ عودي بعد نصف ساعة. سأكون انتهيت من العمل مع غاسبار وساصحبك بنفسي الى الصالة حيث وثائق رايس .

وبعد عشرين دقيقة كانت ديلي قد اخذت حماماً وبدلت ملابسها . ارتدت سروالاً من الجينز وقميصاً قطنياً ذا مربعات صغيرة حمراء وبيضاء بأكمام طويلة وانتعلت حذاء رياضياً ولمت شعرها المبلل وعقدته على شكل ذيل حصان . ولم تعد تمتلك شيئاً من كمال المرأة ، وكما توقعت لم يكن راوول في مكتبه بل ما زال منحنياً على محرك السيارة مع غاسبار . ولكنه كان قد بدل ثيابه هو الآخر . ارتدى سروالاً من المخمل المضلع باللون الأزرق الفاتح وقميصاً رقيقاً بلون أزرق غامق مما ساعده على ابراز عرض اكتافه .

وعندما تقدمت نهض ومسح يديه بقطعة قماش ثم تفحصها ويداه على خصره :

ـ هكذا افضل ، يجب أن أقر بذلك .

قالت بعصبية :

ـ يمكنني أن اقول عنك الشيء نفسه .

ـ ولكن بعض النساء بحاجة الى بعض التحسينات اكثر من غيرهن .

كانت لهجته لاذعة كعينيه ، وفكرت ديلي بأنها لن تصل الى شيء اذا ما حاولت أن تكون مثله وتجابهه واحدة بواحدة .

تابع تحديقه بنظرة باردة ساخرة . « هذا العدو مشكوك بأمره . » هذا ما فكرت به ديلي . « ولكن لا بد أن لديه نقطة ضعف » ، وهكذا قررت أن تغير اسلوب التعامل معه .

٤ - أنت قتلته

كل الوثائق التي أرسلها رايس خلال السنوات الماضية كانت متراكمة ومجمعة في غرفة من غرف أحد الأبراج ، هذا القسم من القصر الذي حافظ على طابع القرون الوسطى ولم تجر عليه أية تحسينات .

الغرفة كانت بسيطة تحتوي على بعض الكراسي الخشبية ، طاولة كبيرة عليها لمبة وأكداس من الكرتون ومغلفات كبيرة .

ارتعدت ديلي عندما فكرت بالساعات الطوال التي عليها أن تقضيها في هذا المكان المظلم .

دخل راوول وأنار الضوء الذي لا يضيء الاّ جزءاً من المكتب ، حيث وضعت بعض المغلفات المغبرة التي تحمل

طوابع عشرات البلدان . جلس على زاوية الطاولة وكتف يديه على صدره وتفحص المكان .

- يلزمك المزيد من الاضاءة .

- نعم لمبة اخرى ستكون مفيدة .

اجابت ديلي وهي تقترب ورسمت ابتسامة على شفتيها ، وأضافت :

- لو سمحت .

- ستحصلين على ذلك .

- هل لديك آلة كاتبة يمكنني استخدامها ؟

- ستحصل على واحدة .

كانت ديلي مأخوذة بحركة ساق راوول التي كانت تمر بالتعاقب بين الظل والنور ، وهو يهزها على طرف الطاولة . ويبدو انه لا يستعجل ذهابه ، وكالمعتاد كبحت ديلي ثورتها من هذا الوضع اللامبالي وقالت بسخرية :

- هذا لطيف جداً من ناحيتك .

ظل وجهه بدون انفعال وتابع يتأملها بعينين باردتين .

قال بلهجة باردة جداً :

- هل انت بحاجة الى شيء آخر ؟

- أوراق ، كثير من الأوراق ، أقلام ، ممحاة ، مصنفات ، وما شابه هذه الأشياء وأيضاً اذا سمحت . . .

- نعم ؟

- مفتاح الغرفة .

قالتها وأطرقت .

اخرج المفتاح من جيبه ، مدت يدها لتأخذه ، لكنه امسكها .

ـ اذا سمحت .

ابتسم بسخرية .

ـ افضلك ايضاً بشكل آخر .

فقدت صوتها للحظة ثم ارتبكت من شدة الغضب ، كيف يمكن أن يعاملها بهذه السهولة ؟

ـ ماذا تريد أن تقول ؟

ـ عندما تنفعلين تتلاءمين مع نفسك . لكن كمخادعة . . .

هز كتفيه وألقى المفتاح باهمال على الطاولة .

ـ . . . انت بالتأكيد كارثة .

فقدت ديللي صوابها ، وبدأت تضرب الأرض برجلها من شدة الانفعال .

ـ اخرج ، اخرج حالاً قبل . . . قبل أن . . .

واختنقت الكلمات في حلقها .

ـ هل ترين . . . الطبع غلب التطبع .

ـ آمرك أن تخرج .

ـ سأخرج بعد أن انتهي من قول ما لدي ، وليس قبل ذلك .

ـ لم يكن لدينا شيء لنقوله ، اتركني وحدي

ـ وحدك مع ذكرياتك ؟

وأشار الى الكرتون المغبر المنضد على طرف الحائط .

ـ ذكرياتي . . . كما تسميها لا تعني سواي .

اصبح صوته اكثر قسوة ، شبه مهدد ، نهض واقترب منها .

ـ هناك اشياء لا تعرفينها . هل تفهمين يا آنسة ايفريت ؟

ـ الى ماذا تريد أن تتوصل ؟

كان قد تقدم حتى كاد يلامسها . كانت يداها نديتين .

ـ ما يتعلق بانتحار رايس .

تلقت الجملة كالصاعقة ، خفق قلبها بشدة

سألت وعلى اساريرها علامات الدهشة :

ـ انتحار ؟

ـ لا تتظاهري بالبراءة .

ـ لا اعرف عن أي شيء تتحدث .

شحب لونها ، وشعرت وكأن كابوساً يجثم على صدرها ، او انها تشارك في تمثيل مسرحية سريالية .

اخذ مغلفاً من الطاولة ، تعرفت ديللي الى خط رايس وطوابع الولايات المتحدة الاميركية .

ـ رسالته الأخيرة .

قال راوول هذه الجملة مشدداً على كل حرف ، وسحب من المغلف ورقة رسائل مطوية ، عليها في الأعلى طابع الفندق .

ـ عندما وصلت هذه الرسالة كان رايس قد مات ، ولا يُفهم منها انك لا تعرفين .

نشف حلق ديللي ، فكل هذا لا صحة له ونظرت الى

راوول .

- ان هذا ينقصه البرهان .

- اقرأي بنفسك .

القى الرسالة على الطاولة ، وانتابتها الرغبة في الانقضاض عليها وتمزيقها ، وتابعت التحديق به دون حراك .

- لا ؟ لا تريدين . اذا كنت تخافين من الحقيقة ، سأذكرك بها ، رايس كتب هذه الرسالة بدون ادنى شك قبل تلك . . . تلك السهرة الأخيرة . لقد قصّ علينا كل شيء . . . كل شيء هنا .

« يا الهي ما الذي قصه عليهم رايس ؟ » تساءلت ديللي وهي تستعيد ذكرى الأيام الأخيرة . كم تعبت من اسلوب حياة رايس ، بحثت عنه في الحانات ، في الفنادق وفي كل الأماكن التي يمكن أن يرتادها ، كانت مفعمة بالقلق لأنها تعرف ان عمها يعتمد عليها لمنع رايس من ارتكاب الحماقات .

قالت بصوت هادىء غير مصدق :

- ماذا قال لك ؟

استعاد راوول الرسالة وتصفحها سريعاً وقرأ متقطعاً .

- الله يشهد انها ستفقدني عقلي .

- انا ؟ هل يذكر اسمي ؟

- ليس من الضروري ، ولكن من الواضح انك المعنية . يمجد « خطيبتي » ، ويشرح كل التفاصيل الكريهة ، ويحكي كيف تعذبينه .

- اعذبه ؟

- من الواضح ، انك كنت غير وفية له وبشكل حقير .

- ولكن . . .

بالتأكيد يعني تلك الطالبة ذات الشعر الأسود التي كان مفتوناً بها ، واحدة تدعى سالي .

صرخ قاطعاً عليها حبل أفكارها :

- لا تنكري انك كنت معه في شيكاغو .

- لا ، لكن . . .

- لا تنكري انك كنت خطيبته .

- لا .

وشعرت بالبرودة تنساب في عظامها ، ولكنه تابع بوحشية وبلا رحمة :

- وتعتبرين ان كل شيء كان واضحاً تماماً . وأنت المذنبة .

رمى بالرسالة على الطاولة باشمئزاز وتابع :

- وبعد ذلك ببضعة ايام ، قتل نفسه .

- اسمعني يا راوول ، لا علاقة لي بكل ذلك ، فانا متألمة جداً لكل ما حدث لرايس ، لكن . . .

- متألمة . انت متألمة . انا الذي اتألم من صفاقتك في الحضور الى هنا . انت التي أحبّها ، ووضع ثقته بها وبالتالي دفعته الى تدمير نفسه .

ابتلعت ديللي ريقها بصعوبة ، وبذلت مجهوداً يفوق طاقتها لتمسك دموعها .

- اذا كان هذا ما تظنه .

- ما أظنه لا يقبل الشك . وما تفكر به والدتي شيء آخر . لانني لم اقل لها الحقيقة ، ولكن هناك أشياء لم استطع اخفاءها عنها . ارنستين تقرأ لها الصحف كل يوم . والصحف المحلية تحكي احياناً عن رايس .

ضغط على طرف الطاولة بيديه وكأنه يريد أن يكسرها ونظر اليها .

- وخنته .

- راوول ، لست انا ، عليك أن تصدقني ، العلاقة بيننا كانت صورية .

- في الحقيقة ، انها بالفعل لكذلك .

- ليس هذا ما اريد قوله ، لقد توهمنا انا بهذه الطريقة نستطيع أن نجتنب المشاكل . لقد كان يجتذب المشاكل .

- الموت هو المشكلة الحاسمة ، ومع الأسف لم تجنبيه اياه .

- انت لا تريد أن تفهم اليس كذلك ؟ انه شخص غير مستقر ، وبحاجة الى حماية من الآخرين ومن نفسه ايضاً .

- من شخص مثلك ؟ انا أفضل الحماية من حية . . .

فقدت دبلي توازنها والتفتت نحوه بعيون تقدح شرراً ، وشتمته بقسوة ، وبعد أن خففت عن نفسها قليلاً ، اضافت بهدوء .

- انت لا تعرف الحياة التي عاشها ، لم تكن معه ، وتجرؤ أن تحملني مسؤولية موته .

اقترب منها بوجه مليء بالكراهية .

- نعم احملك مسؤولية موته .

اوشكت أن تصرخ ، بأن هذا غلط ، ولكنها فهمت أن الاحتجاج لا يجدي ، فراوول لن يغير رأيه . ادارت وجهها بيأس واخفته بين يديها لكي لا تريه دموعها ، لقد قلب عالمها في ساعات قليلة . وبعد لحظة تجاوزت ضعفها ولكنها لم تقو على النظر اليه .

- اذهب .

انحنى نحوها بهدوء ، سمعت أنفاسه تتصاعد وارادت أن تهرب ولكنها كانت مشلولة من الخوف . ومن الخلف ، طوق عنقها الرقيق .

تمتم في اذنها :

- انت قتلته .

وازداد ضغط اصابعه تدريجياً حتى شعرت بصعوبة التقاط انفاسها ثم أدار رأسها نحوه .

- انت قتلته ، كما لو كنت تقودين السيارة بنفسك .

- لا ، لم اكن ابداً . . .

اختنقت الكلمات في حلقها من شدة ضغط اصابعه وشعرت بحالة من الاغماء .

تأتأت بيأس :

- اتوسل اليك .

قال وهو يتنهد بعمق :

- آه يا الهي .

وعندما ترك عنقها ، ترنحت وكادت تسقط لولا انه أمسكها من كتفيها ، فسقطت على صدره مرتجفة فاقدة كل قواها .

- انت قتلته . (كرر ذلك بلهجة قاسية) . ولن اساعدك على ذلك ابداً .

تمتمت مرة اخرى :

- اتوسل اليك .

تجاهل رجاءها وأسندها الى المكتب .

- امنعك أن تفضي بأي كلمة تمكّن والدتي من معرفة حقيقة علاقتك برايس .

- لا افهم ما تعني .

قالتها وهي تنظر اليه بجمود كأنها منوّمة مغنطيسياً والدماء تسيل كالنار في عروقها . هل كان ذلك بسبب الخوف ام بسبب شيء آخر ؟

قال بغضب :

- لا تكذبي ، انت تفهمين تماماً ما أعني . لن اخبرك عن ردود افعالي اذا ما كشفت لوالدتي ان رايس وضع حداً لحياته بنفسه . انها امرأة عجوز وقد تحملت بما فيه الكفاية في حياتها .

- لا يمكن أن ادعي ذلك لأنه ليس حقيقياً ، لقد مات في حادث مأساوي .

- العبي هذا الدور أمام والدتي ، وليس أمامي ، أعرف كيف عاملت رايس كما أعرف أي نوع من النساء انت . فكل

البراهين هنا ، في رسالته الأخيرة وفي قصائده .

أغمضت ديللي عينيها لتهرب من نظراته المتهمة . أمسك بشعرها وأدار وجهها اليه .

قال وهو يصر على أسنانه :

- افتحي عينيك .

بقيت ديللي جامدة ، أما هو فقد ازداد عنفاً وصرخ :

- أمرتك أن تفتحي عينيك ، انظري اليّ .

الألم جعلها تفتح أجفانها وشعرت بأنفاسه الحارة .

- الآن اسمعيني جيداً ، لن تطلعي على وثائق رايس الا في هذه الغرفة ، لا شيء يخرج منها . . . اكرر ، لا شيء اطلاقاً الا اذا تفحصته انا شخصيا .

- لكن في رسالتها ، والدتك قالت . . .

قاطعها بقسوة :

- اعرف ما قالت . اذهبي الى الجحيم مع رسالتك . اطلب الأ يخرج شيء من هذه الغرفة يمكنه أن يجرح امي ، لا شيء الا ما تقصه عليها ارنستين .

- ولكنها مع ذلك تعرف ان رايس لم يكن . . . لم يكن ملاكاً .

- كتابه الأخير لا يترك مجالاً لأي شك في ذلك . صحيح ان رايس لم يكن ملاكاً وهي تعرف ذلك منذ سنوات وتسخر منه ولكنها تجهل ان موته كان انتحاراً .

صرخت بصوت يرتجف من اليأس والعجز عن اقناعه :

- هذا خطأ .

صرخ بازدراء :

- صحيح . اذن اقرأي هذه الرسالة .

تركها فجأة وابتعد عنها ونظراته لا تفارقها . تمسكت بالطاولة لتضمن توازنها ، وشعرت بأنها لا تقوى على المقاومة اكثر من ذلك ، وفي كل لحظة يتزايد احساسها بأن نظرات معذبها تخترقها حتى الروح . كانت تفكر :

« لو تستطيع أن تقرأ ما في قلبي ، يا راوول ، ايها الظالم . لماذا لا ترى الحقيقة فيه ؟ »

لم يضف أي كلمة ، توجه نحو الباب وخرج دون أن يلتفت . وقعت ديللي الى الأرض وقد تلاشت طاقتها على الوقوف .

٥ - حبيبة رايس

فقدت ديللي احساسها بالزمن . ولم تعد تعرف اذا كان راوول قد خرج منذ ساعة ، أو نصف ساعة أو عشر دقائق ، فالحالة التي عاشتها جعلتها تعوم في ذهول أبله ، رأسها يضرب بشدة ، وشعور بالغثيان انتابها ، ولم تعرف اذا كان ذلك بسبب برودة الأرض التي لا تزال جاثية عليها ام بسبب رائحة العفونة التي تزداد شيئاً فشيئاً .

وأدركت فجأة انها جائعة ، وكأن كل الانفعالات تجمعت لديها في غريزة الجوع . « لقد استعادت الطبيعة تفوّقها » قالت لنفسها .

وبعد أن نهضت أصلحت ملابسها وجلست على أحد

الكراسي ومن الغريب انها شعرت بعد هذا الكابوس ، بأنها مختلفة فهي اكثر نضجاً وأصلب معنوية ، وان كانت لا تزال تتألم من رقبتها .

وفكرت بسلسلة الحوادث التي تعرضت لها منذ مجيئها ، وبهذا الوجه المتجهم الذي يعكس كراهية لا مثيل لها ، عندما اتهمها بمقتل اخيه من أمه . « اقرأي هذه الرسالة » ، هذه هي كلمات راوول الأخيرة .

بدا لها ان رايس ربما كتب هذه الرسالة بعد تلك المحاضرة التي تتذكرها جيداً ، والتي كانت فيها تلك الطالبة سالي حاضرة . سالي انسانة جذابة ، تعرّف اليها رايس في احدى المناقشات الأدبية وتوجه اليها بالغزل مستخدماً كل جاذبيته ، وبالتالي فقد تناول الثلاثة عشاءهم وطلب رايس من سالي الزواج بلهجة لا يمكن أن تؤخذ على محمل الجد . وتلقت سالي ذلك بخفة لأنها لا تملك التجربة الكافية لتعرف مدى جديته ، ولم تر في ذلك الا تمهيداً لمغامرة عابرة .

وفي يوم المحاضرة الشهيرة ، رايس كان قد سهر كثيراً مع سالي ، وتخاصما ، ورغم ذلك فقد لاقت المحاضرة نجاحاً . رايس يعرف أن يكون مسلياً حتى وهو فاقد لرشده والجمهور كان ينتظر أن يراه على ما هو عليه . . . ولكن طرأ ما لم يكن في الحسبان مما قلب كل شيء . فبعد أن بدأ رايس بالحديث نهضت سالي الجالسة في الصف الأول ، وخرجت بصحبة رجل آخر . وعندما رآها رايس اضاع خط النص ، وبدأ يلفظ جملا

مفككة . اخيراً كان عليه أن ينسحب من على المنصة . وكان على ديلي أن تتحمل عبء النتائج . تألم من صداع لا يحتمل وتحدث عن الانتحار عدة ايام واختفت سالي لعدة ايام ثم التقاها في احد المقاهي . عادت العلاقة بينهما متوترة ، وبعد اسبوع توفي . كان يقود سيارته كالمعتاد بسرعة جنونية ، وقد اضاع رشده أو انه غفا على المقود . فأحياناً كان ينام في ظروف غير متوقعة .

على كل حال ، ديلي لا تعتقد انه قتل نفسه برغبة منه .

الرسالة مكتوبة تحت تأثير الهذيان ، كانت مفككة ، يشير فيها الى خطيئته دون أن يسميها ، ويتحدث عن عدم وفائها ، كما يشرح تشاؤمه منها ومن الحياة . وليس من المستغرب أن يعتبرها راوول المسؤولة بعد أن قرأ الرسالة .

وضعت ديلي الرسالة وتنهدت بألم وأخذت المفتاح على أن تعود فيما بعد لتنظيف الغرفة . وستطلب من ارنستين أن تعطيها كرسياً مريحاً وسجادة لتدفىء المكان حيث ستقضي فيه الأسابيع القادمة . ومهما يكن فهي لا تستطيع ان تعمل بجدية الا مع الآلة الكاتبة . ولقد وعدها راوول بذلك .

أغلقت الباب وقفلته وفكرت أن ترتّبه فيما بعد .

ـ آه يا آنستي كنا نتساءل اذا كنت قد نسيت أهمية الطعام ، وجبتك تنتظرك .

جلست ديلي وبدأت تلتهم طعامها .

ـ يبدو ان الآنسة ما زالت متأثرة بالحادث ، فأنا اراك

شاحبة .

ـ لا لقد تحسنت يا ارنستين ، اشكرك .

تفحصتها ارنستين بانتباه وبنظرة لا تخطىء .

ـ الآنسة محظوظة كونها خرجت من الحادث ببعض الرضوض فقط .

وأشارت باصبعها الى عنق ديللي مما زاد في شحوبها واحساسها بالخزي .

ـ كان علي ان الح هذا الصباح لكي ترتاح آنستي ، لكن من الغريب انني لم الاحظ انك شاحبة الى هذا الحد . والسيد راوول لن يكون مسروراً اذا لم اهتم بالآنسة بشكل لائق .

ـ السيد يعرف انني وقعت هذا الصباح ولم يبد أي قلق .

ـ مع انه ركب سيارته مسرعاً دون أن يقول كلمة ودون أن يتناول طعام الغداء . واعتقد انه ذهب لاحضار الطبيب .

ـ كلا انا لست بحاجة لطبيب وهو يعرف ذلك ، ولا حاجة للقلق .

ـ على آنستي ان تعدني بأن ترتاح بعد تناول الغداء .

ـ حسناً يا ارنستين ، سافعل ذلك لاطمئنك .

هذا الوعد أفرح ارنستين كما اسعد ديللي لارغامها على الراحة .

وعندما فتحت ديللي اجفانها كان النهار يقترب من نهايته ، وبما انها لم تكن معتادة أن تنام أثناء النهار فقد استيقظت بحالة كان يلزمها فيها بضع دقائق لكي تتذكر أين هي موجودة .

بقيت فترة طويلة في الحمام ، فهذا الصباح كان متعباً جسمانياً ونفسياً ، ولكن للشباب قدرة على استعادة حيويتهم .

وحان موعد العشاء فاختارت ثوباً من الحرير الأسود البسيط .

كان الصالون ما يزال فارغاً . فأخذت كأساً من العصير ، وبدأت تتفحص اللوحات المعلقة على الحائط . هذه بالتأكيد ليراك ، ولوحة الغروب هذه على طريقة تيرنر ، وهذه يمكن أن تكون لبيكاسو في المرحلة الزرقاء . وتمنت لو تمتلك المزيد من المعلومات عن الفن ، فالطريقة التي رتبت بها اللوحات كانت ساحرة . المدارس مختلطة كالعصور ولكنها تعطي في مجملها انطباعاً بانسجام لا مثيل له . وقالت لنفسها ان راوول هو الوحيد الذي يستطيع أن يضعها على هذا الشكل .

وتوقفت مطولاً امام رسم رائع لوجه (بورتريه) . انه بدون جدال لأوجيني دوبريان فتكوين الوجه نفسه ، لكن الشعر أسود والعينين براقتان . فالفنان اعاد الحياة على اللوحة . ولكن الى أي تاريخ يعود هذا الرسم ؟ حوالي خمسة عشر عاماً بدون شك وكانت ديللي شبه متأكدة من انها تعرف ضربة فرشاة هذا الرسام . انحنت لتتأكد لكن التوقيع كان غير مقروء .

ـ انها احدى لوحات سان جوست .

كان الصوت غاضباً وساخراً كالعادة مما جعلها ترتعد . كيف استطاع الاقتراب دون أن تسمعه ؟ وذهب يعد لنفسه كأساً من العصير .

- اعتقد انك كنت السباقة في أخذ كأس من العصير هذه المرة .

- لكني اود أن آخذ كأساً اخرى .

ولكن لهجتها لم تخف انفعالها الداخلي ، وعندما مدت يدها لتأخذ الكأس كانا يراقبان بعضهما بصمت ، والجو كان ثقيلاً ذكّرها باللقاء الصباحي .

- اذن كنت تحاولين استكشاف مجموعة اللوحات الفنية ؟

اجابت بحرارة :

- نعم . بورتريه والدتك . . .

- مرسومة قبل أن تفقد بصرها .

- كانت ، ولا تزال ، امرأة جميلة جداً ، سمعت عن سان جوست .

قالتها وهي تقترب من اللوحة .

- لقد رسمها بشكل رائع .

اجابها بلهجة مداعبة :

- انها واحدة من أحسن محاولاته .

- حسب ما يقال عنه ، انه لا يرسم الا النساء اللواتي يعتبرهن فعلاً جميلات .

- هذا صحيح .

ونظر الى البورتريه ، انها لتخفقان هذه المرة .

سألت وهي تقترب من المدفأة :

- وكيف فقدت بصرها ؟

- حدث ذلك منذ احدى عشرة سنة ، عندما اصيبت بالتهاب كلوي حاد بالاضافة الى العوامل النفسية والآلام التي سببها لها رايس .

يعني ان رايس كان في الثامنة عشرة من عمره عندما سبّب لها كل هذه المشاكل .

وراوول ؟ كان يكبره بخمس أو ست سنوات .

- هل كان رايس يسكن هنا في تلك الفترة ؟

طرحت ديللي السؤال بصوت هادىء لأنها تعرف انها تغامر في موضوع حساس ولأنها كانت تجهل تأثير السيدة دوبريان على الحياة العائلية . نظر اليها راوول بدهشة .

- يبدو ان رايس لم يثق بك كثيراً ، اذا اعتبرنا . . .

وترك جملته المفاجئة معلقة .

- يمكنك عدم الرد اذا كنت تفضل ذلك .

- نعم رايس كان يعيش هنا .

قالها وهو يهز كتفيه .

- القصر لعائلة امي منذ اجيال ، وعندما انفصلت امي عن أبي كنت في السادسة من عمري .

وفهمت ديللي ان راوول في السادسة والثلاثين من عمره .

- كان ابي رجلاً قاسياً ، ولم آسف ابداً لهذا الانفصال . كان أثناء الحرب معجباً بالجنرال بيتان الذي تعاون مع الالمان ، ولم تسامحه زوجته ، ولكنه لم يوافق على الطلاق . وأخذتني والدتي الى انكلترا ووضعتني في مدرسة ممتازة . وهكذا ، فعل عكس

ما يقال ، انها لم تتخلَّ عني .

نهض راوول ومشى امام المدفأة .

ـ وبعد عدة سنوات عرفت علاقتها مع املان مورغان . قد تكون قصة الحب هذه الأكثر شهرة في تلك الفترة ، لكنها بالنسبة اليّ ، كانت بكل بساطة . . . صديقها أملان كان رجلاً دافئاً ، طيباً وحساساً وكان يحبها ، منحها الحب الذي رفض والدي أن يعطيها اياه . وهكذا فولادة رايس بدت لي امراً طبيعياً جداً .

هام راوول في تفكيره وتابع كمن يحدث نفسه .

ـ بالطبع كنت غيوراً بعض الشيء ولكن وجود أخ صغير ، سمح لي باكتشاف عالم مجهول . وبعد موت مورغان عاشت امي معنا نحن الاثنين . كان رايس في الخامسة من عمره وكنت في الثانية عشرة وعشنا سوية سبع سنوات ، اي أن رايس كان حاضراً في كل ذكريات المراهقة ، كان غريباً ، وفوضوياً ، يفيض جاذبية .

ابتسمت ديللي لهذا الوصف ، انه رايس كما عرفته تماماً .

ـ كان طفلاً مدللاً وولّد احساساً بالذنب لدى امي المسكينة ، كان رايس يعرف تماماً ماذا يريد .

وتوجه راوول بنظرته العابسة الى ديللي التي فهمت انه عاد بتفكيره الى حوادث قريبة والى علاقتها مع رايس .

ـ . . . وبشكل عام كان يحصل على ما يريد .

لفظ الكلمات الأخيرة وسمع صوت فتح الباب فالتفت

ليستقبل والدته التي أوصلتها ارنستين الى الكنبة وخرجت .

وقف راوول وراء امه ووضع يده على كتفها .

ـ راوول ، ارنستين حكت لي عما حدث هذا الصباح ، وان ديللي متأثرة من الحادث .

حاول راوول أن يراقب نظرات ديللي .

ـ لم يكن شيئاً مهماً ، تزحلقت ولم أصب بأذى .

اضاف راوول :

ـ ديللي بصحة جيدة .

ـ كان عليك أن تستدعي الطبيب ، ديللي ضيفتنا وعلينا أن نعتني بها .

ـ أؤكد لك انها شابة قوية .

ـ ظنت ارنستين انك ذهبت بعد الظهر لاحضار الطبيب . ولكن على ما يبدو انك ذهبت الى السوق ، فهل لديك اشياء مستعجلة ؟

اجاب وهو يهز كتفيه :

ـ لا ، كنت بحاجة لبضعة اشياء صغيرة ضرورية .

ـ مع ان ارنستين اكدت لي انك حملت عدة علب كبيرة .

قال ضاحكاً :

ـ ارنستين تبالغ احياناً .

ـ انها عيناي ، وعيناي تخبرانني بكل شيء . لقد اخبرتني أن ديللي كانت شاحبة وانها متأثرة من الحادث .

وضعت ديللي يدها على رقبتها لكي تتحاشى ذكر ما حصل

في البرج . وتبعتها نظرات راوول .

ـ ربما كنت شاحبة بسبب الجوع ، ومن ناحية اخرى كنت متعبة قليلاً ، ولكني أشعر الآن بالتحسن بعد أن نمت طيلة بعد الظهيرة .

ـ لن تعترفي بالحقيقة ، واعتقد انك من النوع الذي لا يشكو . عليك يا راوول أن تساعدني ، هل ما زالت شاحبة ؟

تفحصها راوول بنظرات تحمل الكثير من الألغاز مما حيّر ديللي ، ثم ابتسم وأجاب أمه دون أن يكذب :

ـ كلا ، استطيع ان اطمئنك عنها .

ـ حسناً ، لقد كنت عاقلة يا ديللي واسترحت قليلاً بدلاً من أن تعملي ، واذكرك بأنه ليس هناك ما يجعلك متعجلة .

ـ ولكن عمي متعجل في أن يطبع كتاباً آخر لرابس بأقصى سرعة ممكنة ، وسأبدأ بالعمل جدياً صباح الغد .

ـ يجب أن تعملي بهدوء وتستغلي اقامتك في استكشاف المنطقة .

ـ هذا ما افكر به كذلك .

ـ هل تحسنين قيادة السيارة ؟

ـ نعم . ولكني افتقر الى الحس بالاتجاهات الصحيحة .

ـ استعملي الرينو عندما ترغبين ، واطلبي الخريطة من غاسبار ، ويستطيع راوول أن يخدمك كدليل .

ـ شكراً لعطائك . . . ولكني لا اريد . . .

ـ لا اعرف . . . قالها راوول في نفس الوقت .

ـ اسكتا انتما الاثنين ، ارنستين اخبرتني بأن حذاءك لم يعد صالحاً ولا يمكن أن تزوري المنطقة بدون حذاء آخر . فعليك يا راوول أن تصحبها الى بوي لتستعيض عن حذائها الأول .

التفتت السيدة الى ديللي .

ـ بوي ليست بعيدة من هنا ، وراوول غالباً ما يذهب الى هناك . انها مدينة رائعة وعليك أن تتعرفي عليها .

فتحت ديللي فمها لتعترض ، لكن السيدة دوبريان كانت قد مدت يدها ليقوداها الى غرفة الطعام .

النزهة الى بوي لم تكن اقتراحاً وإنما امراً .

٦ـ الدعوة

سرير ديللي المقلوب رأساً على عقب، يشهد على تلك الليلة القلقة التي قضتها. كيف ستكشف الحقيقة للسيدة دوريان؟ حقيقة علاقتها برايس. واثناء سهادها، قررت ان تزيح النقاب عن هذه الحقيقة وباقصى سرعة ممكنة مع انها مدركة تماماً للخطورة التي يمكن ان تحيق بها، ومن المحتمل ان يلغي اعترافها هذا الأمل في نشر قصائد رايس مورغان، وسيصاب عمها والقراء محبو رايس بخيبة أمل كبيرة. ولكنها لم تجد مخرجاً آخر. ديللي ايفريت متزوجة من عملها بحسناته وسيئاته، وها هي الآن في موقع سيء، ولكن عليها ان تضع حداً لهذا الزواج الذي وضعها في موقع حساس كهذا.

عشاء الليلة الماضية كان بالنسبة اليها نوعاً من التعذيب، وبذلت جهداً مضنياً لكي تمنع رغبتها من قول الحقيقة، وبدون اي شك لولا حضور راوول لاعترفت بكل شيء للسيدة العجوز.

ماذا، كيف، ومتى تعترف لها؟ السؤال كان صعباً. ويبدو انه من المستحيل ان تتحادث على انفراد مع السيدة دوريان. فهي لا تريد ان تتحدث امام راوول عن حياتها العاطفية لأنها تخافه وتخاف سخريته ولكنها بدأت تحب السيدة العجوز ولا تريد الاستمرار في خداعها.

وكذلك كان لديها سبب أعمق واقوى، الا وهو كشف نفسها لتشعر بالراحة.

ومهما يكن من امر فلن تتراجع عن قرارها. وشعرت بشيء من الارتياح وهي تمشط شعرها امام المرآة، ولكنها عبست عندما لمحت الآثار الحمراء التي لا تزال على عنقها.

لبست كنزة رمادية فاتحة، وسروالاً رمادياً غامقاً، وربطت حول خصرها شالاً احمر مكان الحزام. وبعد ان التهمت افطارها بسرعة عادت الى البرج. فتحت القفل بسهولة، يبدو ان احداً قد زيّته.

وعندما فتحت الباب لم تصدق عينيها، عدة لمبات وضعت في الغرفة مما جعلها تسبح بالنور، سجادة كبيرة حمراء غطت الارض، كنبتان تشبهان اللتين في مكتب راوول مع طاولة منخفضة. وعلى المكتب السنديان الكبير لمبة جميلة الشكل،

وعلى طول الجدار نضدت الكرتونات والمغلفات بعد ان ازيل عنها الغبار. واخيراً وعلى مكتب صغير آلة كاتبة كهربائية جديدة.

هل يمكن ان يكون راوول فعل كل ذلك من اجلها؟

فتحت المغلف الاول، انه يحتوي على القصائد التي نشرها رايس منذ ثماني سنوات والتي لا توازي ما كتبه مؤخراً. وضعتها على الطاولة، واحست انها غير قادرة على التركيز، فأسندت رأسها على يديها ونظرت في الفراغ وسبحت في احلامها. قررت ان تشكر راوول قبل ان تباشر العمل، والتقت ارنستين في الصالون ترتب باقة الورد.

- اين السيد راوول؟

- انه يعمل في مرسمه، ولكنه عندما يرسم لا يتوقف الا لتناول الطعام، ومن الأفضل عدم ازعاجه.

- انا على استعداد لتحمل النتائج، اين يقع مرسمه؟

- كيف؟ الآنسة لا تعرف؟ انه في الاسطبل.

في الاسطبل! يا له من مكان سخيف، اذن لا بد ان يكون بارداً، رغم شمس الربيع التي بدأت تدفىء الجبل. صعدت الى غرفتها واخذت سترة من الصوف الاحمر.

نقرت على الباب ولم تتلق جواباً ولم تجد اية نافذة لتعرف من خلالها اذا كان راوول في الداخل ام لا. نقرت بصوت اعلى، ولكن في الفراغ، دفعت الباب ودخلت. وقفت مدهوشة، المرسم يسبح بالنور، بعد ان استبدل السقف بقبة زجاجية،

وعلى الحائط مجموعة من اللوحات وعلى خشبة طويلة مجموعة من الالوان، كمية من الفرش وأوانٍ فخارية، ورسوم تحضيرية.

كان راوول يقف امام لوحة كبيرة، التفت ونظر الى ديللي بدهشة.

- ما الذي جاء بك الى هنا؟

- اردت ان اشكرك.

نشف حلقها واسفت للمبادرة الطيبة. وضع لوحة الالوان والريشة على الطاولة متذمراً من الازعاج.

- الم يحدث لك ان قرعت الباب قبل الدخول الى مكان ما؟

قالت بهدوء:

- هذا ما فعلته.

- وعندما لا تتلقين جواباً، هل تستغلين الموقف دائماً لتتسللي الى الداخل؟

- لا، لكن...

- لا احب ان يزعجني احد اثناء العمل.

- في هذه الحالة، عليك ان تقفل بالمفتاح.

- هذا ما افعله بشكل عام.

واسرع الى الباب ليقفله.

- من الافضل ان تدعني اخرج اولاً.

استند بظهره الى الباب ولف ذراعيه على صدره.

- اشرحي لي لماذا جئت الى هنا.

- قلت لك لكي اشكرك.
- ولماذا تشعرين بأن عليك ان تشكريني؟
- اشكرك على طريقة ترتيبك غرفة البرج.
- أقبل شكرك وماذا بعد؟
- لا شيء، انتهيت.
قالتها بدهشة.
- البارحة مساء كان في قلبك شيء ما تريدين قوله.
كيف استطاع ان يعرف ذلك؟ وبدا لها كأنه يقرأ ما بداخلها...
- لا اعرف ماذا تتصور؟
- تكذبين بالنسبة لما اعرفه واحسه، ومن الأفضل ان تقوليه بصراحة.
- ابداً ليس لدي ما أخفيه.
أدارت نظرها عنه خوفاً من ان يقرأ الحقيقة
- كما يروق لك، لكن الباب سيظل مقفلاً حتى اعرف.
وعلق المفتاح على مسمار في اعلى الباب.
- تحت هذه الظروف، سانتظر حتى تقرر ان تفتح لي الباب.
التفتت واقتربت بهدوء من اللوحة التي يرسمها. المرسم مريح والطقس دافىء. خلعت سترتها والقتها بلا مبالاة على طرف الطاولة. دارت حول اللوحة وهي آخذة بعين الاعتبار انه يتابعها بنظراته. لكنها متمسكة بالاّ تعيره اهتماماً. اللوحة لا تزال تخطيطاً، وهي عبارة عن بورتريه لامرأة في الثلاثين من

عمرها، جميلة جداً ذات شعر اسود. واحست بانها نفرت منها، لم تعرف الموديل، لكنها عرفت يد الرسام. التفتت بعيون جاحظة الى راوول.
- انت سان جوست؟
- تماماً.
ورسم ابتسامة ساخرة على شفتيه.
- لكن هذا الاسم...
تذكرت اسم القرية التي نزلت بها من القطار... سان جوست.
-.. بالتأكيد استعرت اسمك من اسم القرية.
- انه بالاحرى على العكس.
- لكن...
- انه اسم عائلة والدي مُلاّك هذا القصر منذ القرن السادس عشر.
- وانت؟
- راوول اتين دوبريان دو سان جوست.
وعندما ابتسمت اضاف:
- يبدو ان هذا الاسم مضحك بالنسبة لك.
- انه اسم نبيل... لدرجة انني عندما اتذكر كيف اعتبرتك كواحد...
- كواحد من الخدم؟ اتذكر احتقارك عندما استقبلتك في المحطة.

ابتسم بمكر كاشفا عن اسنان ناصعة البياض.

- كان علي ان افكر بانك رسام مشهور بحاجة الى موديل في هذا المكان البعيد.

- لدي مرسم آخر في باريس حيث امضي جزءاً من السنة، لكن اوفيرن لا تخلو من النساء الجميلات.

- لم اشأ ان اقول ذلك، لكني كنت ألمح الى الطلبات.

- لا ارسم حسب الطلب، انا اختار المواضيع بنفسي.

شرح ذلك بتعالٍ.

- اذن فانت لا تحتاج الى موديل للرسم.

- اعمل بشكل مختلف، ارسم تخطيطاً، واسجل انطباعاتي ثم اضيف التفاصيل. وبعد ذلك لا يتبقى الا ان اباشر، وفي بعض الاحيان يسهل رسم الروح الانسانية لكائن ما عندما يكون غائباً.

اقترب من اللوحة وتفحصها باجفان مقطبة وتابع:

- الموديل يتكون من الجلد ومن العظم ويمكن ان يسليني، اتصوره في جوهره ببساطة.

راقبها بتهكم بعد ان القى نظرة اخيرة على اللوحة.

- اعتقد انك ترغب بمتابعة العمل.

- لست على عجلة، النتيجة لم تعجبني اليوم.

سحب علبة السكائر من جيب قميصه القطني، ذي الاكمام المرفوعة الى الاعلى والتي كشفت عن عضلات ذراعيه ونعومة يديه، اما فتحة الصدر فقد كشفت عن سمرته الجذابة.

- هل تريدين سيكارة؟

- لا شكراً، لا ادخن.

- لا تمارسين الرذائل الصغيرة، حسبما ارى.

واكد على كلمة صغيرة واحست دبللي بان طبيعته العدوانية بدأت تستيقظ.

- لأنك محافظة على ما يبدو.

- ولماذا أكون كذلك؟ فلوحاتك لا تخلو من النساء.

وبحنق اشارت الى اللوحة التي يرسمها.

- مثل هذه، على سبيل المثال...

- هذه؟ بكل تأكيد.

ولم يخف مزاحه مما جعلها تثور اكثر ولم تعرف ان ترد عليه بالاسلوب نفسه فقررت ان تهاجم لوحته.

- لا احب هذا التعبير.

- هل شعرت بالغيرة منها؟

لقد طعنها في العمق. رفعت يدها لتصفعه لكنه كان اسرع منها فامسك يديها وسمرها في مكانها.

ترنحت من السخط وركلته بعنف على قصبة رجله.

- امرأة شرسة.

وبحركة سريعة ثنى ذراعيها خلف ظهرها، وشدها حتى انهكت قواها وتوقفت عن المقاومة.

- والآن ستعترفين، لماذا جئت الى هنا؟

كان صوته هادئاً ومهدداً.

- شرحت لك ذلك. جئت اشكرك.

- اريد الحقيقة، والحّ على ذلك.

- ليس هناك سبب آخر.

- مساء البارحة كتمت شيئاً ما.

- لا.

فتل ذراعها مرة اخرى وبقوة اكثر.

- اعترفي.

- اتساءل كيف اوضحت حقيقة علاقتي برايس امام والدتك؟

ترك ذراعها وتفرس فيها باهتمام.

- ماذا يعني هذا؟ حذرتك من ان تعرف والدتي شيئاً.

- لا، ليس فيما يتعلق بما تسميه انتحاراً. حاولت ان اشرح امس ان خطوبتي لرايس لم تكن حقيقية.

- يجب الا تعرف ذلك مهما كلف الثمن، لأن هذا يمكن ان يقضي عليها.

- انت لا تريد ان تفهم.

- افهم اكثر مما تتصورين، ولكني لا اريد مناقشة علاقتكما العاطفية، وبالنسبة لأمي، فانا امنعك ان تكشفي لها اي شيء على الاطلاق.

- لكن...

- انت لم تسببي لها اية اساءة حتى الآن، دعيها لأحلامها.

ولم تستطع ديلي ان تسيطر على رجفة جسمها، حاولت ان

تشرح اهمية اعترافها للسيدة العجوز.

اوجزت قولها:

- انا آسفة فعلاً.

عانقها وشعرت بأن الارض مادت من تحتها. احست بان الدم يغلي في عروقها. رفعت يدها الى صدره لتبعده ولكن راحتها لم تطاوعها.

ثم نهض فجأة وتركها تلهث وابتعد عن الطاولة. وبعد ان لامستها اصابعه استعادت ديللي وعيها.

- ما الذي اصابك؟

اجاب بصوت اجش:

- ان ما اصابني واضح.

- توقف فوراً.

- أليس هذا ما تريدينه؟

صفعها صوته كضربة سوط، استجمعت طاقتها ووقفت. صرخت وهي تدفعه بيديها:

- لن تستطيع ذلك.

- ولماذا لا، منذ يومين وانت تحاولين اخفاء دعوتك.

ديللي لم تصدق اذنيها.

- دعوتي؟ ستكون بدون شك الرجل الاخير على هذه الارض الذي يمكن ان افكر به.

- لا؟ انت تفضلي بدون شك الرجل الذي لا يكشف ألاعيبك، كالمسكين رايس.

صرخت وهي تشتعل غضباً:

ـ رايس على الأقل كان لطيفاً.

حدجها بنظرة خارقة مما جعلها تخفض الطرف، ثم ذهب وفتح الباب وانتظر.

لا تزال ترتعش، عبرت المرسم بعزة نفس، وتوقفت لحظة على العتبة.

تمتمت بتلعثم:

ـ انا آسفة.

وتشنجت، ساخطة من الاعتذار مرة اخرى بدون سبب.

ـ في الوقت الحاضر، دعيني اتابع عملي.

ختم الموقف بصوت حازم مليء بالحقد.

ورأت في اعماق عينيه بريقاً خطراً.

وفي النهاية فصل الباب المغلق ما بينها.

٧ ـ رحلة ممتعة ولكن . . .

مدينة بوي تقع على سهل منخفض حيث يقوم رأس جبل بركاني هائل تكاد تنافسه الصخور في الزحف على السطوح الحمراء الداكنة ، والجدران الرمادية الضائعة في الاخضرار .

ورغم أسفار ديللي الكثيرة ، لم تكن قد شاهدت مشهداً خارقاً للطبيعة كهذا فوقفت صامتة من شدة الاعجاب .

تمثال فخم لسيدة فرنسا على أكبر صخرة ، وهي مخروطية الشكل تدعى صخرة كورنيل .

اخذ راوول دوره كمرشد بشكل جدي وبدأ يشرح لديللي تاريخ المنطقة . حدثها عن الهياكل الرومانية الشهيرة وعن المسلة الصخرية ، كان الهواء ما يزال بارداً نقياً ، والضباب

يخطي عمق الوادي وديللي تنحني خارج السيارة لترى بشكل افضل .

كانا قد خرجا بعد تناول طعام الافطار مباشرة . كان راوول في بداية الرحلة ثرثاراً اكثر من المعتاد وقد بدا جذاباً الى درجة كبيرة .

أشار الى الأماكن الجديرة بالاهتمام كما قص عليها حكايات الأماكن ثم أوقف سيارته لتمتع نظرها بجسر يصل بين جبلين وشرح لها بأن هذا مثال للفن الهندسي الذي كان سائداً في القرن التاسع عشر ، عندما غزا الخط الحديدي هذه الأماكن البعيدة مغيرا العادات والتقاليد في حياة الشعوب السالفة .

وعند وصولها الى بوي تحدثا عن تنظيم برنامج ليومها .

- ستزور الكاتدرائية بعد الظهر ، هذا البناء المتأثر بالفن البيزنطي ، الذي وسعوه في القرن الثاني عشر فبنوا جزءاً منه في الفراغ .

ألقت ديللي نظرة على دليلها ، لم يعد مشدوداً ولا منغلقاً على نفسه كما كان في مناسبات اخرى . انه يرتدي بدلة من جلد الغزال مع كنزة من الصوف البني مما أظهر رشاقة قوامه . وبذل راوول جهده ليكون لطيفاً . لم يتجاهها ولا لمرة واحدة منذ اسبوع .

قال بابتسامة عريضة :

- يجب تعميق مثل هذه الأفكار .

« يا لها من أسنان لامعة وجميلة » قالت لنفسها بشكل لا

ارادي . وبعد دقيقة صمت اجابت :

- هذا الطراز يجعلنا نعتقد اننا نعيش في عصر آخر .

- اليونان والرومان وغيرهم جاؤوا الى هنا ، فالمدينة قديمة جداً ولا يمكن لأي شخص أن يعرف حقيقة اصولها .

انعطف بالسيارة مبتعداً عن مجموعة اطفال يلعبون .

- انه يوم السوق .

قالها وهو يحاول أن يحشر سيارته في مكان للوقوف .

- ان عربات الباعة ليست بعيدة من هنا اذا كان هذا يستهويك .

قاطعته بعيون لامعة :

- نعم . . . اذا سمحت .

مال باتجاهها ليفتح لها الباب فأمسكت أنفاسها عندما احتكت ذراعه بها . نزلت خارج السيارة ومشت بضع خطوات لتحرك قدميها ، وكانت قد ارتدت ملابس مريحة وتركت شعرها يتساقط على كتفيها .

السوق عبارة عن موزاييك من الألوان ، فعلى اطراف الساحة ركام من المجموعات الفنية وعربات النقل والفلاحين والمشترين . ثم صفوف البضائع المنشورة بالأحمر والأخضر والأصفر من الخضار ، وفي مكان آخر معرض الأسماك ، ومجموعة متنوعة من الأجبان والزبدة والعسل .

وفي احدى زوايا السوق كان باعة الدانتيل . لم تسمح ديللي لنفسها أن تمس هذه التحف من المصنوعات اليدوية من شالات

وقبعات ومخدات وأغطية طاولات .

وشرح لها راوول أن بوي كانت مثل بعض المقاطعات وعلى مدى قرون مركزاً مهماً لصناعة الدانتيل اليدوي بالمخرز أو بالأبرة . فالنساء يقمن بالحياكة في القرى المعزولة بسبب الثلوج طيلة فصل الشتاء ، وهذه المهنة في طريقها الى الزوال بعد دخول عصر المكننة .

أخذت ديللي بيدها قميصاً من الدانتيل ، كان كالتحفة في رقته ونعومته ، حبكة الدانتيل ذات شكل عنكبوتي تحتها قماش من القطن الناعم . الرسم تقليدي ولكن التفصيلة حديثة ببساطتها ، مع كمين طويلين ضيقين وفتحة صدر واسعة . تنهدت ديللي بحسرة وتساءلت اذا كانت تجرؤ أن ترتدي شيئاً مثله في يوم ما .

ـ حان الوقت للتفكير بالحذاء ، أعرف مخزناً لا يبعد كثيراً من هنا .

وقادها في شارع تجاري .

ـ عليّ انا ايضاً شراء بضعة حاجيات من السوق ، لذا سأطلب منك أن نلتقي بعد ساعة ونصف في المقهى الكائن في جادة لويس .

ـ ألن تبقى معي ؟

وأحست بانها كانت مضحكة بسؤالها هذا .

ـ بالتأكيد لا .

اجابها بنعومة ودلها على المقهى وابتعد .

كانت الساعة تجاوزت الثانية عشرة ظهراً عندما وصلت ديللي الى المقهى تحمل شبكة فيها بعض المشتريات بالاضافة الى الأحذية . اشترت شامبوان وعلبة شوكولا للسيدة دوبريان وثقالة ورق لعمها ، عثرت عليها في مخزن للأثريات .

كان راوول يتأرجح على كرسيه يقرأ الجريدة الاسبوعية ، وبعد أن جلست ديللي طواها ووضعها على الطاولة الرخامية .

ـ هل انهيت مهمتك ؟

ـ نعم ، اكتشفت بعض المخازن . لكن الواجهة لا تعرض ما اهتم به وأفضّله .

حدجها بنظرة سريعة قاسية .

ـ مع انني كنت اعتقد انها كانت نوعاً من الهوس بالنسبة للأنثى .

قالت ضاحكة :

ـ ينقصك الكثير لمعرفة النساء .

تمتم :

ـ هذا ما بدأت أتعلمه . باشري بمساعدتي وذلك بالاشارة الى ما تفضلينه .

وقادها الى مطعم صغير لا يمكن لسائح أن يكتشفه . اختارت بعض الأصناف التي اشتهرت بها المنطقة ، وأثناء الطعام تبادلا الحديث في مجموعة من المواضيع ، وتلقت ديللي بسرور اختفاء عدوانية راوول حيث بدا محدثاً جذاباً .

قالت وهي تتذوق القهوة :

- أن يكون الانسان فناناً عليه أن يقدم المزيد . انت تنظم عملك في الوقت الذي تراه مناسباً ، تحصل على اجازة حسب هواك ، بعيداً عن الرتابة اليومية في الأعمال المكتبية . لست مرغماً أن تعمل تسع ساعات في اليوم :

- اعمل احياناً اكثر من ذلك بكثير .

- ولماذا قررت أن تتخذ اسم سان جوست كرسام وليس دوبريان ؟

- لأن عائلة ابي كانت معروفة جداً منذ القدم ، وكذلك اسم والدتي كممثلة شهيرة . رفضت أن استغل هذه الشهرة ، وكذلك لأسباب عائلية .

- وكيف ذلك ؟

- لقد كان احد اجداد عائلتي صديقاً لروبسبيير ايام الثورة الفرنسية وهو أول من طالب برأس لويس السادس عشر . وهو الوحيد الذي حافظ على انفته عندما اقتيد مع روبسبيير وأنصاره الى المقصلة .

تذكرت ديللي ثورة راوول في البرج وتساءلت اذا لم يكن قد ورث الى حد ما طباع أسلافه .

- ولكن قل لي بحق السماء . لماذا اخترت هذا الاسم ؟

- ربما لأبرهن ان هذا الاسم ليس مرادفاً دائماً للعنف ، أو لأنني معجب بعناد سان جوست تحدياً لكل شيء .

- يبدو لي ان هذا مخيف ، مهما كانت بواعثك .

قال ضاحكاً :

- لتنسَ هذا ، رجاء . هل لا زلت قادرة على تسلق برج الكنيسة ؟

- بالتأكيد ، اذا قررت أن تصحبني .

- اذن هيا بنا ، ولكن لنضع أولاً مشترياتك في السيارة .

كان الصعود قاسياً ، وكانت ديللي تلهث من التعب مما اضطر راوول أن يجبرها على التوقف مرات عديدة لاستعادة أنفاسها .

- هذه الكنيسة كانت ملجأ للنسّاك الذين استقروا بها رافضين النزول بعد ذلك الى الوادي .

- ان هذه القصة حزينة . انا شخصياً أتعب من الوحدة .

- لربما كانت حالة النساك كذلك ، ولكنهم وجدوا السلام الذي لم يتوفر لهم على الأرض .

- يا له من وجود قاس .

- بالتأكيد لا يمكن أن اتصورك في دير بل بالأحرى في حاشية احد امراء عصر النهضة أو حتى في دور بوديكا ، الملكة الانكليزية التي حاربت ضد الرومان ، والنتيجة ان حوالى سبعين الف شخصاً ذبحوا .

كان على ديللي أن تغضب أو تضحك ، ففضلت أن تسلك الطريق الثاني لكي يمر اليوم بشكل جيد ولا حاجة للعودة الى العدوانية .

- من يعرف ، لربما اكون ناسكة جيدة .

- وان كنت لا اقتنع بذلك ، ولكنه بدون شك شيء جميل

جداً .

- اشكر اطراءك .

وابتسمت له ابتسامة ساحرة .

- عليك أن تضحكي في معظم الأحيان لأن هذا يلائم ثغرك .

- انت ادعيت بأن فمي كبير جداً عندما وصفتني لأمك .

- بالفعل ، ولكن علي أن اتراجع تماماً عن تقديري السابق .

- لا تفعل ، لأن ذلك سيجرح كبرياءك .

- هل تردين دائماً الصاع صاعين ؟

- اؤمن بالعلاقات المتبادلة ، يجب الا تقبل المرأة الخضوع .

- الحرية المطلقة ، كالرجال ؟

- عندي قواعدي الخاصة في الحياة .

- لا شك في ذلك .

- احدى هذه القواعد الا اناقش في الأخلاق من لا يملكها .

- ومن اين واتتك مثل هذه الفكرة ؟

- يبدو انك تنسى بسرعة . لقد واتتني من امور أود أن انساها .

وفجأة دوّت العواصف في السماء ، وارتعشت ديللي واستدارت .

خيم صمت ثقيل الى أن وضع يده على ذراعها قائلاً بلطف :

- اطلب أن تسامحيني .

- انت لا يمكن أن تنسى لحظة واحدة .

- طلبت منك أن تسامحيني .

لفظ هذه الكلمات بصعوبة وكأنه شخص قلما تعوّد الاعتذار . ثم نظر الى الأفق بوجه حاد .

- هل يجب أن اتوسل اليك ساجداً ؟

كان في لهجته نوع من السخرية المشكوك بها . قالت ديللي :

- اسامحك اذا نزلت ساجداً المائتين وسبعين درجة .

- لدي فكرة اخرى . اقترح لدفع غرامة مشرفة دعوتك للعشاء لدى عودتنا . انني أعرف مكاناً مثالياً في فندق ريفي ممتاز على بعد بضعة كيلومترات من سان جوست .

- اتفقنا ، ولكن لا يزال الوقت باكراً .

- بالتأكيد ، لكن بعد أن نزور الكاتدرائية وكنوزها ، ثم نمضي ساعتين في العودة سنكون مستعدين لعشاء ممتاز . احدى مواهب نويل ، انها تعرف أن تقترح الأشياء المفضلة .

- نويل ؟

- المرأة التي تدير الفندق ، نويل روسينيول ، ارملة . . . تعمل في هذا المكان في فترة الصيف .

تخيلت ديللي نويل كماري آنج أو ارتستين ، واحدة من افضل طباخات الريف ، وفرحت في أن تتذوق عشاء حدثوها عنه في لندن .

وبعد أن زارا الكاتدرائية وشرح لها راوول كخبير عن تاريخها

وكئوزها ، جلست في السيارة منهكة وتثاءبت .

ـ آمل الا تعودي لتنامي ، أنت في طريقك لأن تكوني من أهل المنطقة ، تنامين مبكرة وتنهضين مبكرة .

وبعد مرورها بسان جوست ، سلك راوول طريقاً ريفياً يتلوى بين الغابات والمراعي .

ـ الفندق ليس بعيداً من هنا ، هل تشعرين بشهية للطعام ؟

ـ اكاد اموت جوعاً ، واعتقد انني استطيع ان آكل عجلاً لوحدي .

كان الفندق عبارة عن مسكن ريفي قديم ، رمم حديثاً بذوق شديد ، شجيرات الورد تغطي الجدران وبستان الخضار يمتد الى الناحية الأخرى من المسكن .

ولأول مرة فتح راوول باب السيارة لديلي وأمسكها من ذراعها ليوصلها الى المدخل . وتقبلت ذلك بطيبة خاطر .

دخلا المبنى ، كانت اضاءة الصالة خافتة وهي مفروشة بذوق . ظهر شبح امرأة ، اقترب منها راوول وحيّاها بحرارة . كانت ديلي مبهورة من الاضاءة فأغمضت عينيها نصف اغماضة لتتمكن من أن ترى بشكل افضل . وضع راوول ذراعه حول كتفي المرأة .

ـ نويل أقدم لك ديلي ، دليلة ايفريت التي حدثتك عنها ، ديلي هذه هي نويل روسينيول .

تلقت ديلي صدمة ، انها المرأة نفسها التي يرسمها راوول ، جمالها لا يضاهى ، انها أنيقة من أخمص القدمين حتى مفرق

الشعر الأسود الفحمي . وشعرت ديلي بأنها قبيحة وثقيلة امام هذا الجمال الرائع .

ـ سررت جداً بلقائك يا سيدة .

ومدت يدها . . .

يبدو ان نويل لم تنتبه الى اليد الممدودة وتوجهت الى راوول بابتسامة متآمرة كشفت عن صفين من الأسنان الجميلة الصغيرة .

ـ لكنك يا عزيزي راوول لم تقل لي ان الآنسة ايفريت ذات شعر احمر .

شعرت ديلي برطوبة يدها فانزلتها وهي تغلي في الداخل .

ـ تعالوا الى الصالون ، يبدو انك مرهقة يا آنسة ، ماذا فعلت بها يا راوول ؟

قالت ذلك وهي تمد يدها تحت ذراعه .

ـ قمنا بجولة على آثار بوي .

ـ وطبعاً اظهرت حماسك كمرشد . انظر الى دليلة كم هي مرهقة . مع انك تبدو في كامل نشاطك . لكن لماذا تصرف طاقتك هكذا ؟

سألت وهي تهز كتفيها برقة .

ـ انه مجهود لا اقوم به من اجل احد .

قالت ديلي وهي تشدد على لفظ الحروف :

ـ لقد سررت بكل لحظة صعود .

التفت اليها راوول ونويل وحدقا فيها بدهشة ، فالعدائية

التي صدرت من السيدة روسينيول اثارتها الى اعلى درجة ، وسمعت ضحكتها الرنانة المدروسة بعناية .

- اننا نشعر وكأننا كائن آخر عندما تكون بصحبة راوول ، كما نشعر بأننا مدللون اكثر من اللازم .

اجابت ديللي وهي تقلد الضحكة المصطنعة لنويل :

- صحيح .

تدخل راوول :

- اخفين مخالبكن ، ديللي ارجوك نحن في ضيافة نويل وهي احدى صديقاتي القديمات .

وبخها كطفل سيء التربية ونظر اليها باحتقار مع انه كان عليه ، لو أنصف ، أن يوبخ صديقته القديمة .

اجابت ديللي بابتسامة لطيفة :

- لا شك بذلك .

- عزيزي راوول انت ايضاً اجهدت دليلة حتى انها لم تعد تستطيع أن تتحكم بنفسها وهي بحاجة الى الراحة . انت كذلك أمضيت يوماً متعباً .

توجه راوول ليحضر كؤوس الشراب . « انه بالفعل في بيته هنا . » هذا ما فكرت به ديللي وتصاعد غضبها فأخذت كأسها وجلست .

- راوول انا مسرورة برؤيتك ، عليك أن تتصل بي هاتفياً من وقت لآخر .

- بنظري ، ان الهاتف وسيلة تعذيب .

- لكنه ضروري ، لولاه لما عرفت انني عدت من باريس .

جلس راوول الى جانب نويل ودار الحديث بينهما ، وكأنه نسي وجود ديللي . استغلت ديللي بعدها عن المحادثة في مراقبة نويل لعلها تكتشف عيباً فيها ، ولكنها للأسف لم تستطع .

- ستكون مجبراً على الذهاب الى باريس من اجل معرضك .

- لا . . . ليس هذا ضرورياً ، فمعظم اللوحات هناك ، اما البقية الموجودة هنا فسأرسلها في الاسبوع القادم ، وسأذهب بعد شهر للافتتاح .

- هل ستغيب فترة طويلة ؟

- اسبوعين على الأكثر ، وسأمضي باقي الصيف هنا .

- نشعر احياناً بالملل . . . في هذا المكان البعيد .

« انها تلعب لعبة الأرملة التي لا عزاء لها . » قالت ديللي لنفسها . اشعل راوول سيكارتين وقدم واحدة لنويل .

- هل استطيع ان احصل على واحدة انا ايضاً ؟

التفت بشراسة مستغرباً هذا الطلب اللامتوقع من ديللي ، ونهض ليعطيها السيكارة الأخرى ثم عاد ليأخذ مكانه بجانب نويل .

قالت ديللي :

- انا شخصياً أعشق ان اكون وحيدة . لكن بالنسبة للذين لا يملكون غنى داخلياً فهذا صعب الاحتمال .

حدجها راوول بنظرة سوداء .

قال بلهجة باردة :

- والبعض الذين لا يملكون أية تربية .
- اعتقد اننا متفقان على الا نتحدث عن الأخلاق .
نصحتهما نويل ، مسرورة بدورها كوسيط :
- على مهل ، لا تثورا . يجب ان تنتقلا الى المائدة قبل أن يبرد الطعام .

انزعجت ديللي أن تكون المائدة مجهزة لثلاثة أشخاص فنويل اذن كانت مدعوة للمشاركة في وجبتها .

لم تشارك ديللي في حديث الاثنين . تحدثا عن اصدقاء مشتركين ، وآخر ما قيل عن سان جوست وعن بعض الأصدقاء في باريس . وفهمت ديللي ان راوول ونويل يتلاقيان في باريس ، حيث يملك مرسماً هناك ، وحيث تسكن نويل معظم ايام السنة .

وفهمت ديللي لماذا أحست بهذه التعاسة ، لقد شعرت بالغيرة وهذا يعني انها وقعت في حب راوول دوبريان .

٨ـ عندما يفتح الليل أبوابه

- كنت ضيفة لطيفة .
قالها راوول وهو يسرع في قيادة السيارة، مركزاً انتباهه ليتجنب الأفخاخ الليلية والطرق المحفرة.
اجابت ديللي:
- بالكاد تكلمت بضع كلمات.
- صحيح، ولكنها بضع كلمات مختارة بشكل جيد.
تحاشى منعطفاً وعكس غضبه على القيادة.
- كم يمكنك ان تكوني عدوانية احياناً.
- هذه احدى مواهبي. قالتها بلا مبالاة مفتعلة.
لا فائدة من تذكيره بنويل، فهي الاخرى يمكنها ان تكون

عدوانية، ولكنها على درجة من الذكاء تجعل الآخرين لا يلاحظون ذلك.

ديلي تكاد تختنق كيف انها بلغت الرابعة والعشرين من العمر ولا تزال تحافظ على استقلاليتها، بدون علاقة عاطفية والآن وبكل غباء وقعت في حب رجل يكرهها تماماً. اوقف راوول السيارة في باحة القصر. «عليّ ان اكلمه بشكل عجيب لالغي التوتر الحاصل واعيد جو الصداقة الذي ساد بيننا قبل السهرة». هذا ما فكرت به ديلي.

تمتمت في اللحظة التي خرج فيها من السيارة:

- راوول...

اخذ بعض العلب التي كانت خلف المقعد واغلق الباب، فاما انه لم يسمعها او انه تجاهلها. بقيت فترة في السيارة، وسمعت راوول يتوجه الى مرسمه ويغلق الباب. وسكنت وحيدة في الظلام مع افكارها. ان هذا اليوم بساعاته الحلوة والمرة سيحفر في ذاكرتها الى الأبد.

انها المتكبرة التي تعرف دائماً ان تتصرف بجدارة. ها هي الآن تشعر بالغيرة وتحترق من حب بدون امل. لقد فقدت احترامها، وشعرت بانها سترتمي على راوول لو خرج ثانية.

لكن الباب ظل مغلقاً، وقررت ان تذهب وتنام بصمت.

استقبلتها ارنستين التي لا يخفى عليها شيء:

- مساء الخير يا آنستي، السيدة دوبريان في انتظارك.

كانت ديلي في حالة سيئة ولكنها لا تستطيع الا ان تذهب الى

الصالون. كانت السيدة العجوز تجلس على كرسيها المعتاد امام المدفأة والى جانبها جلست ارنستين على كرسي منخفض تقرأ لها. «وعندما يفتح الليل ابوابه للعاشقين...».

عرفت ديلي انها احدى قصائد كتاب رايس الاخير المهدى اليها. وعندما انتهت ارنستين، التفتت السيدة الى ديلي بعيون مطفأة تلتمع بالدموع ورفعت يديها الشاحبتين لاستقبالها.

قالت السيدة بصوت مخنوق:

- عزيزتي. سامحيني، هذه القصيدة الجميلة ايقظت فيّ الذكرى، حدثيني عن رحلتك الى بوي.

كانت ديلي معقودة اللسان لا تقوى على قول كلمة واحدة.

- الن تقولي شيئاً، يا عزيزتي، ما الذي حدث؟

قالت ارنستين:

- انها قصيدة السيد رايس التي احزنت الآنسة.

تحسست السيدة وجه ديلي الذي يفيض دمعاً وقالت:

- القصيدة، بدون شك، الذكريات ما تزال ماثلة وموجودة. وانا غبية لانني لم أراعِ ذلك.

اهتز جسم ديلي من شدة الانتحاب. «ويا لها من سخرية» قالت لنفسها، انها تبكي ابنها وتعتقد انني اشاركها المها، في الوقت الذي اتمزق فيه انا من حب آخر مستحيل. احضرت ارنستين كأساً وقدمته لها السيدة العجوز. شربت منه ديلي لتطفىء غليلها.

- اطلب عفوك لضعفي يا اوجيني، انا الآن بخير.

- كل الجروح تلتئم مع مرور الزمن حتى جروح الروح يا عزيزتي. فذكرى الاشياء الجميلة لا تنتهي، وان قلبك ما زال يفيض حزناً كقلبي. ولكن لن انسى ابداً ان في حياة رايس ومضات من السعادة بفضلك. ولكنني آسف لانكما لم تتزوجا قبل وفاته، كان سيسعدني ان يكون لي حفيد.

- لم يفت الاوان، ومن المؤكد ان راوول. . .

- على الاطلاق.

وشرحت لها بان راوول لن يتزوج ابداً لانه صعب جداً. وتنهدت بحسرة ومرارة.

- مع انه يبدو متعلقاً كثيراً بنويل.

قالتها ديللي وهي تريد جرحها ألماً.

- نويل. اذا تزوجها، ولسوء الحظ، فلن تنجب له في حياتها طفلاً لأنها تخاف كثيراً من ان يشوه جمالها الذي تعتز به. لكن لننسَ هذا، المهم هو انت الآن.

- اؤكد لك انني اشعر بتحسن كامل، كنت متعبة قليلاً.

- لقد غرقت في عملك الاسبوع الماضي تماماً، ويجب ان تستغلي اقامتك هنا في نزهات سياحية، هل ذهبت الى شيز ديو؟

- لا ليس بعد.

- يجب ان تذهبي الى هناك وتشاهدي الرقص الشهير. سأطلب الى راوول ان يصحبك الى هناك.

لا تريد ديللي بأي شكل ان تمضي يوماً آخر معه، فبقدر ما تقلل من لقائه بقدر ما تشعر بالتحسن.

- انا بالفعل مشغولة جداً بالتمحيص في اوراق رايس.

- ليس هناك شيء مستعجل وسيسعدنا وجودك هنا لفترة طويلة.

- لا اعرف كيف اشكرك، لكن عمي متمسك بنشر كتاب رايس باقصى سرعة ممكنة وانا متمسكة بان اكون عند حسن ظنه.

- في هذه الظروف، لا استطيع ان ألحّ كثيراً، ولكن على الاقل وافقي على ان يصحبك راوول في زيارة الى بحيرة الرجل الضائع، انها قريبة جداً من هنا.

- يا له من اسم غريب.

- انه مكان جذاب جداً، وحسب الاسطورة، ان مدينة كانت موجودة قبل مجيء الرومان مكان البحيرة، حيث ان جنية وقعت في حب صياد جميل لكنه لم يوافق وكان لا يهاب شيئاً، حتى القدر، واحب فتاة اخرى.

- وماذا حصل له؟

- اقسمت الجنية انها ستدمر المدينة اذا ما عانق محبوبته في يوم ما، لكنه سخر من التهديد، وفي المساء نفسه ما كاد يمس محبوبته حتى انفجر البركان واضطربت الارض وغابت المدينة بين الامواج. حتى في يومنا هذا، يزعم البعض اننا نستطيع ان نرى البيوت المختفية في عمق البحيرة.

- ربما اذهب ذات يوم لاستكشافها.

خلال الاسابيع التالية، جاءت نويل مرات عديدة الى

القصر، وكانت ديللي تحذر ردود فعلها لأنها تعرف الاسباب ونجحت في ذلك. لكن نويل لم تعرف كيف تخفي غيظها من وجود ديللي في القصر.

اما ديللي فقد تعودت ان تبقى في غرفة البرج كل مرة تأتي فيها نويل، حتى ان عملها على اوراق رايس تقدم كثيراً، ولم تعد ترى راوول الا قليلاً بعد تلك السهرة، ولكنه كان يخرج مع نويل عندما تأتي ونادراً ما يتناول عشاءه مع امه. كذلك لاحظت ديللي ان ارنستين كانت تحمل له طعامه الى المرسم مرات عديدة، ولربما يريد ان ينهي بورتريه نويل في الوقت المحدد للمعرض. وقد رأته ذات يوم يرسل بعض اللوحات في السيارة. وحاولت ان تطرد راوول من تفكيرها، وانهمكت في العمل، ولكن ما يزال اي تحريض منه يجعلها تضطرب في اعماقها ويمنعها من التركيز. ذات يوم، عند نهاية الظهيرة سمعت الصوت المميز لسيارة نويل وكانت قد نزلت لتوها الى الصالون بعد ان اخذت حماماً، تنتظر السيدة دوبريان. من الصعوبة تحاشيها هذه المرة، قالت في سرها، لأذهب على الاقل واحتمي في الباحة الداخلية.

وتسللت بدون تأخير. كان الهواء بارداً، واحست ان ثوبها القطني كان خفيفاً بالنسبة لهذا الفصل، لكن فكرة لقائها مع نويل جعلتها تبقى في الخارج. كانت الورود بدأت تتفتح فاقتربت لتقطف واحدة.

- آي.

سحبت يدها بسرعة وانبثقت نقطة الدم من اصبعها.

- عزيزتي الآنسة ايفريت، انت الوحيدة التي وخزها الشوك.

ارتعدت ديللي وكأن شوكة اخرى وخزتها والتفتت. لقد كانت نويل، مرتدية ثوباً فخماً من التافتا، وعبرت الباحة بخطوات واثقة راسمة ابتسامة مفتعلة على شفتيها.

«زهرة جميلة متفتحة»، قالت ديللي لنفسها وهي تدرك تماماً انها بملابسها المتواضعة لا يمكن ان تنافس اناقة كهذه.

بدأت بلطف:

- اذا كنت تفتشين عن راوول. . .

قاطعتها وهي تداعب باصابعها ازرار الورد:

- راوول يعرف اين يجدني.

- اذا كان لديك بعض الوقت، استطيع ان اقدم لك كأساً.

- اذن راوول لم يقل لك شيئاً؟ انا مدعوة هذا المساء للعشاء فزيارة الأم من وقت لآخر لا بد منها.

ثم تابعت بصوت متوازن:

- لقد ألحّ راوول كثيراً من اجل هذه الدعوة واسرّ لي بان ذلك ضروري وان لديه ما يحدثني به.

استعجلت ديللي في تغيير مجرى الحديث لأنها غير متحمسة لسماع المزيد:

- هل يتقدم العمل في البورتريه؟

هزت نويل كتفيها.

- انه يعمل ليل نهار، انه ممسوس.
ممسوس؟ ممسوس من تلك الجنية الجميلة . . .
- ان حظك كبير، وانه لشرف كبير ان يرسمك سان جوست.
- أسيتحدثون عني؟
انعقد لسان ديللي عندما اقترب راوول منها.
- بالتأكيد يا عزيزتي، لا يمكن الا ان نتحدث عنك وباطراء.
انحنى نحوها وحياها بحرارة. «لا حاجة لوجودي»، فكرت ديللي وابتعدت لتدخل الصالون.
- كيف؟ اتريدين ان تنسحبي فور وصولي؟
- اشعر بالبرد قليلاً.
وكان ذلك صحيحاً، لأن جسمها كان مقشعراً.
قالت نويل بضحكة ساحرة ولكن هشة:
- كان عليك ان تضعي سترة على كتفيك.
- صحيح. ان الطقس ليس دافئاً.
وضع سترته على كتفيها، وكانت هذه المرة الاولى التي يقترب فيها راوول منها بعد نزهة بوي.
قالت نويل بلهجة متضايقة:
- قد يكون من الافضل ان تدخل جميعاً.
اجاب راوول متوجهاً نحو الباب:
- فكرة جيدة.

وحال وصولهم الى الصالون، وضعت ديللي السترة على مسند الكرسي آملة ان تتحاشى اي احتكاك مع راوول. راقبته وهو يعد الشراب. قميص حريري بصدر مزخرف، بدلة ذات تفصيلة رائعة، لكن راوول الذي احبته كان ذلك الذي عرفته يرتدي قميصاً قديماً وسروالاً مليئاً ببقع الالوان.
قالت نويل وهي تحمل له السترة:
- راوول، من المؤكد ان خياطك عبقري. عليك ان تستعين به ليصنع لك ملابس خاصة للعمل.
وخنقت ديللي ضحكة عصبية كادت تفلت منها فنظر اليها راوول متسائلاً:
- هل قلت شيئاً؟
- لا.
وضعت يدها على فمها وسعلت.
- ربما تأثرت من البرد في الخارج او اثناء العمل في البرج.
مد لها كأساً من الشراب وقال مهموماً:
- هل تريدين ان تستعيدي سترتي؟
قالت نويل متضايقة من لطافة راوول:
- راوول. ديليه ليست طفلة يجب لفها ووضعها في السرير لدى أول عطسة.
ثم اخذته من ذراعه وشدته امام اللوحات ورسمت تعبيراً خجولاً على وجهها وهي تنظر اليه قائلة:
- اين ستعلق البورتريه الاخير يا عزيزي؟

- ليس على هذا الجدار.
تساءلت بغيظ:
- ألست مسروراً من عملك هذا؟
- على العكس، اعتقد انها اجمل لوحة احببت رسمها.
- اذن ستعرضها في باريس عند سفرك في اليومين القادمين.
- لا، لدي رغبة ان احتفظ بها في القصر وفي منزلي.
- مكان الشرف.
لمعت عينا نويل من الفرح ثم غطت وجهها سحابة من الظل.
- اتعتقد ان الموديل ليس اهلاً لان يعرض... ويعجب الآخرين؟
- افضل ان احتفظ بها لمتعتي الشخصية.
- لكن رغم كل شيء لوحة مهمة كهذه، لا تكون معروضة...
ولم تكمل جملتها فقد سمعت صوت ضحكة ناعمة. ديللي اكملت الجملة في داخلها.
«... النسخة الاصلية، يعني الساحرة الجذابة نويل دوسينول». ثم ذهبت وجلست على احدى الارائك، وكانت تحس بان راوول يراقبها رغم حديثه مع نويل.
تابعت نويل وهي تجلس بدورها:
- انا سعيدة ان تكون راضياً عن عملك.
- لا تستبقي الاحداث. انتظري حتى تريها فقد تصابين

بخيبة امل.
- ستعجبني حتماً، متى استطيع ان اشاهدها؟ ان رغبتي قوية في رؤيتها.
- الفضول عيب سيء يا عزيزتي، لا يمكن لأحد ان يرى لوحاتي قبل ان تنتهي تماماً.
قالت ديللي في سرها: وهذا ليس صحيحاً فقد رأيتها.
- لكن يا عزيزي...
- ليس هناك شذوذ عن القاعدة عندما ارسم، الشخصية الحقيقية للموديل تتكشف لي شيئاً فشيئاً، اللوحة تريني اشياء قد تفوتني لدى الرؤية البصرية، الرسم بالنسبة لي طريقة لكشف روح الموضوع.
- آمل ان يكون الاكتشاف حسناً.
- حسناً و... وسيئاً، اكتشاف الجمال هو ان نذهب الى ما بعد الظاهر.
سألت نويل باشمئزاز:
- تريد ان تقول كسلسلة اللوحات التي رسمتها للفلاحة التي من اوفيرن؟ لا افهم ابداً كيف تستطيع ان تمجد طباختك جميلة.
- ماري آنج تملك جمالاً خاصاً.
- هذا يعني انك عبقري يا راوول، وآمل الا تكون قد بذلت مجهوداً كبيراً في اكتشاف الموديل الذي تعمل عليه حالياً.
ورمقته بنظرة مثيرة، ولم تستطع ديللي ان تتماسك فقالت:
- هذا ليس اكيداً بعد ان يكشف ما يفلت من الرؤية

البصريه . . .

التفت نحوها راوول ونويل وكأنها اكتشفا وجودها تواً.

«يا لي من فتاة لا تحسن التصرف»، قالت في نفسها وهي ترى وجه نويل الغاضب ووجه راوول المتقلص.

ولكن دخول السيدة دوبريان انقذ الموقف.

٩ ـ هدية غير مقبولة

ورغم كل شيء ، مرت السهرة على خير ، فنويل لم تتأخر في أن تستعيد ثقتها بنفسها ومع مرور الوقت كان مزاجها يتحسن ، حتى أنها أبدت لطفها لديللي . « بدون شك لأنني أعلنت بانني اقترب من نهاية عملي » ، هذا ما قدرته ديللي .

وبالمقابل فان السيدة دوبريان تلقت الخبر بانزعاج .

ـ ديللي عزيزتي ، اسبوع واحد فقط ، هذا قليل جداً . هل انت متأكدة من انك لا تستطيعين المكوث هنا لفترة اطول ؟

اما راوول فقد احتفظ بصمته الى اللحظة التي طرقوا فيها موضوعاً آخر .

وفي اليوم التالي كان الطقس بارداً ، لبست ديللي كنزة

سميكة قبل أن تعود الى البرج . تنهدت بعمق وانقضت على كتلة الوثائق المرتبة على المكتب .

هل عليها ان ترتب هذه القصائد حسب تاريخها ام اسلوبها ام موضوعها؟ ولم تتوصل الى قرار . وشعرت بخمول في تفكيرها ، ربما لأن الأوراق الأخيرة كانت أقل اهمية ، أو لأنها ستغادر هذا المكان عما قريب ، ولن تعود اليه ابداً . لقد بدأت تحب المكان والسيدة المتسلطة التي تسكنه ، ثم ان هذه هي المرة الأولى في حياتها تعرف طعم الحب . . . ولكن عليها الا تفكر براوول .

وأجبرت نفسها ان تركز اهتمامها في العمل . . . لكن الصفحة التي امامها كانت عبارة عن طلاسم حقيقية . انها واحدة من آخر قصائد رايس ، مليئة بالتشطيبات والتعديلات ، ويبدو انه كتبها تحت تأثير الهذيان ، ولكن ربما تستطيع أن تجد اماكن الكلمات بسهولة لدى ضربها على الآلة الكاتبة .

وضعت ورقة بيضاء في آلتها وباشرت بنسخ الأبيات ، ولم تشعر بمرور الوقت بعد أن اخذها العمل . سمعت احداً يقرع الباب وتأكدت من ان ارنستين جاءت تذكّرها بموعد الطعام .

تنهدت ديلي بارتباك وفتحت الباب ، تجمدت ولم تعد تقوى على الحركة . انه راوول مع انه لم يعد الى البرج منذ ذلك اليوم البعيد جداً . . . ماذا يريد اليوم ؟

ـ هل تسمحين لي بالدخول ؟

كان يلبس السروال الملء بقع الألوان ، وقميصاً قطنياً أزرق اللون مفتوح الصدر . حاولت ديلي ان تتجنب نظراته لكي لا يكتشف اضطرابها .

ـ بالتأكيد .

وابتعدت عن الباب لتفسح له مجالاً للدخول ، وحاذرت ان تغلق الباب وراءه .

ـ هل تقتربين من نهاية اتعابك ؟

اجابت ببساطة لكي لا تفتح مجالاً للنقاش :

ـ نعم .

ـ حسناً .

ومد لها علبة كان قد اخفاها وراء ظهره .

ـ ما هذا ؟

ـ اقبليها كهدية عيد .

تمتمت وهي لا تقوى على القيام بأي حركة :

ـ لم يكن هذا ضرورياً .

ـ خذيها (وألحّ) انت حملت الى والدتي الكثير من الراحة ، وهذه طريقة للشكر بالنسبة لي .

ـ لا ، لا استطيع .

ـ بلى تستطيعين .

بريق من المداعبة لمع في عينيه السوداوين واضاف وهو يضع العلبة على الطاولة :

ـ اذا كنت لا تريدين أخذها من يدي ، سأضعها على

الطاولة هنا ثم ابتعد .

وتراجع بضع خطوات . كان الفضول أقوى من ديللي ، اخذت العلبة وفتحتها ، لم تصدق عينيها ، انه قميص الدانتيل الذي اعجبها في بوي . وصرخت من المفاجأة والفرح :

ـ لكن ، يا راوول . . .

والتفتت نحوه بوجه مشع ولم تستطع أن تقاوم نظرته فخفضت عينيها .

ـ إلبسيه هذا المساء .

كان هذا شبه امر .

ـ مستحيل .

ـ ولماذا ؟

بدا صوته مخملياً ناعماً .

ـ لأنني لا استطيع ان اقبله ، خذه وقدمه . . . الى شخص آخر .

ووضعته على المكتب .

ـ اذا كنت تفكرين بنويل فهي غير محرومة من الهدايا ، وهذا لا يليق بها . انه مصنوع لشخص اكثر رشاقة .

« شكراً للمديح » ، قالت في سرها . ثم دمدمت بصوت مرتجف لا يخلو من العداء :

ـ لا اريده .

ـ اذن خذيه لأنني اريده . . .

وأخذ يلحّ .

ـ لا . . . لا مجال للنقاش .

واحست انها وقعت في الفخ ، انها ترغب القميص ، ولكن لماذا يفرضه عليها ؟

ـ ديللي . (قالها بصوت دافىء وحنون) انه ضروري جداً بالنسبة الي ان تقبليه مني ولا استطيع أن ابيّن السبب .

ـ لا . . . لا اريده .

تمتم وهو يدير ظهره :

ـ ارجوك .

ـ اقبله ، بما انك تصر على هذه النقطة .

شعر بالراحة والتفت اليها

ـ عديني ان تلبسيه هذا المساء .

ـ أعدك ، ولكني لا افهم لماذا ، هل هذا مهم ؟

ـ ستفهمين غداً .

ابتسم وبدا كأنه شخص انسان لأول مرة . وخفق قلبها بشدة ولم تعد تعرف كيف تخفي اضطرابها . وكأنه احس بذلك فجلس على الطاولة وعقد يديه خلف رأسه .

ـ حسبما ارى ، يبدو ان كل شيء مرتب .

وأشار الى مجموعات المغلفات الكبيرة التي على المكتب .

ـ هذه القصائد يمكن نشرها بكل تأكيد . تعال واقرأها عندما تريد بما انك لا تريد ان يخرج شيء من هنا بدون رقابتك .

ـ لم يعد هذا ضرورياً ، غيرت رأيي . وهذه ؟

سأل وهو يريها الأوراق المنتشرة امامه .

ـ هذه هي الأوراق التي استبعدتها ، لا اعتقد انها تستحق النشر ، على الأقل الآن .

تفحص بعض الأوراق ثم وضعها مكانها .

ـ اعتقد انك على حق .

ـ لست متأكدة تماماً من بعض الأبيات ، انها غير مقروءة تقريباً ، وفيها الكثير من التصليحات والتعديلات .

ـ هذه مثلاً ؟

سألها وهو يأخذ القصيدة التي بدأتها لدى وصولها . انحنى على الآلة الكاتبة وأدار الاسطوانة ليخرج الأسطر الأخيرة .

ـ لا ليس هذا أحسن ما كتبه .

نظر اليها بتساؤل ودهشة وأطال نظرته حتى احمر وجهها ، ثم نهض ومشى بجانبها حتى كاد يلامسها مما جعلها ترتعش .

طلب اليها قبل أن يغلق الباب بهدوء :

ـ لا تنسي وعدك .

هذه اللحظات التي مرت بصحبة الرجل الذي احبته سراً غيّرتها تماماً . ولم تعد تستطيع العمل فقررت أن تذهب لتناول الطعام على أن تعود بعد الظهر . وقبل أن تخرج رتبت الطاولة ، وعندما سحبت الورقة من الآلة الكاتبة جذب انتباهها سطر . « وجهها البرونزي يبرز من خلال ستائر سميكة من الشعر الأسود . » لم تنتبه اليه من قبل لأن انتباهها كان منصباً على فك الحروف والكلمات . انه يعني سالي ،

وتساءلت اذا كان راوول قد انتبه الى هذا ، وهل هذا ما جعله يغير رأيه الى هذا الحد ؟ لقد حكم عليها بأنها لا اخلاقية وانها مسؤولة عن موت أخيه .

وبأصابع مرتجفة اخذت القميص وخرجت . صعدت الى غرفتها بعد تناول الطعام . تراكم تعبها عليها ، فنامت طيلة بعد الظهر ، ثم بقيت فترة طويلة في الحمام لتزيل التعب عن جسمها المنهك . غسلت شعرها ومشطته طويلاً ، وهي تفكر بحياتها المهنية الغنية جداً ، وحياتها العاطفية الفقيرة جداً .

استفاقت من احلامها وبدأت تعد نفسها للعشاء . القميص كان اجمل لو صنع على مقاسها ، لكن فتحة الصدر كانت كبيرة . « وما اهمية ذلك ؟» قالت لنفسها ، « السيدة دوبريان لا تبصر ، وراوول عنده امرأة اجمل مني بكثير . » .

لبست تنورة من المخمل الأخضر القاتم ، ولكن لم تكن لديها حلية تليق بالقميص فقررت ان تضع وردة على فتحة الصدر .

تأخرت اكثر من المعتاد عندما نزلت الى الصالون . كانت السيدة دوبريان جالسة على اريكتها المفضلة ، وراوول مرتكزاً بكوعه على المدفأة يرتدي بذلة ليلية . توجه اليها بابتسامة رضا واعجاب .

ـ انك وردة انكليزية جميلة هذا المساء ، اشكرك لأنك نفذت وعدك .

قالها وهو يغمرها بنظراته .

احمرت خجلاً مع انها لم تهتم لفتحة الصدر في غرفتها . اما السيدة دوبريان فانحنت وكأنها تريد أن تخترق الستارة السميكة لعماها .

- عن اي شيء تتحدثان ؟ اريد ان تقصوا عليّ .

اجاب وهو يضحك :

- ديللي وعدتني ان تلبس قميص الدانتيل الذي وجدته في بوي ، انه جميل جداً وكأنه صنع خصيصاً لها ، تبدو جميلة كوردة .

وأضاف بصوت مختلف :

- لكن عندما تحمر خجلاً ، كالآن ، فان لوحة الألوان تكتمل بشكل رائع .

- راوول ، كف عن التنكيد على دليلة ، ومن الأفضل أن تقدم لها كأساً بدل أن تتفحصها كأنها احد موديلاتك .

وأثناء العشاء ، بدأت ديللي تسترخي تدريجياً ، فاستندت على مسند كرسيها ولكنها لم تجرؤ ان تنظر الى راوول خوفاً من أن تفضحها عواطفها .

وحاولت السيدة دوبريان أن تثنيها عن الرحيل فور انتهاء العمل ، ولو أضاف راوول صوته الى صوت امه لربما تراجعت عن قرارها ، لكنه لم يبد أي تأثر ، وكان على العكس في احسن حالاته المزاجية ، مرحاً ، نشيطاً ، فرحاً وقد يكون ذلك بسبب افتتاح معرضه في باريس .

احست عدة مرات بانه يحاول أن يلفت نظرها لكنها تحاشت

ان تلتقي عيناها بعينيه . وعلى كل حال فالعشاء كان ممتازاً ، ومضيفتها كانت فرحة .

قالت السيدة بعد أن عادوا الى الصالون :

- راوول . اخبرتني ارنستين ان نويل كانت اليوم في القصر .

اجاب وهو يساعدها في الجلوس على اريكتها :

- آه ، نعم .

- اعتقد ان نويل تركت لك رسالة ، وان ارنستين وضعتها في مرسمك .

- لا ، انها تعرف انه يجب عدم ازعاجي أثناء العمل .

قرعت السيدة دوبريان الجرس المعلق في السقف فحضرت ارنستين .

- رسالة السيدة روسينيول ، لو سمحت ، واحضري لي العلبة التي في غرفتي .

التفتت ديللي وقد تغير مزاجها .

- هل ستنزعجون اذا طلبت منكم السماح لي بالانسحاب ؟

اجابت العجوز :

- ارجوك أن تنتظري قليلاً .

ثم وضعت يديها على ركبتيها وتابعت :

- والآن يا راوول ، ما الذي لدى هذه السيدة لتقوله ولم تقله البارحة مساء ؟ لقد بقيت هنا زمناً طويلاً بعد ذهابنا ديللي وانا للنوم . ديللي يا عزيزتي ، الا ترين ان ابني يضحي كثيراً من

اجل هذه السيدة ؟

دخول ارنستين انقذ ديلي من الارتباك ، وأخذ راوول العلبة المخملية الكبيرة من ارنستين مع المغلف البنفسجي ، وأعطى العلبة الى امه قبل ان يفتح الرسالة . قرأ الرسالة ثم ابتسم برضى ، ادارت ديلي وجهها وسمعته يضع المغلف في جيبه .

ـ دليلة ، اود ان اعرف اذا كنت تتزينين ببعض الحلى هذه الليلة .

اجابت متوترة لأنها فهمت التالي .

ـ اضع زهرة .

ـ اذن خذي يا عزيزتي هذه ، انها هدية من والد رايس مورغان .

وسحبت من العلبة عقداً لؤلؤياً ذا صفوف ثلاثة جميلاً ورائعاً كما رأته ديلي في صورة اوجيني دوبريان .

ـ من المستحيل أن اقبله .

ان ديلي تتألم من كونها كذبت على السيدة العجوز التي استقبلتها كأحد افراد الأسرة ، لكنها لن تستمر في الكذبة التي عاشتها ، فهذا ما لا يمكن أن تتحمله .

ـ خذيه ، لأنني اريد ذلك .

كلمات راوول نفسها ، ولكنها لن تقبل هذه المرة .

ـ لا ارجوك .

ـ راوول ، يبدو ان ديلي صعبة ، خذ العقد وضعه عليها .

ـ بكل سرور .

اخذ العقد ومن خلف مقعد ديلي مرره حول رقبتها وسمعت صوت القفل ، ثم احست بيدي راوول تنزلقان على شعرها ثم على كتفيها ، وامتدت اليد الحارة وسحبت الوردة التي كانت على صدرها ، ثم صعدت بتلكؤ . اغلقت عينيها وانتابتها رعشة .

ـ راوول لماذا انت صامت ؟ كيف حال العقد على صدرها ؟

كلام السيدة كان له تأثير المياه الباردة التي انصبت على رأس ديلي فنهضت وهي ترتجف .

ـ لا . . . لا يمكن أن آخذه ، فهو ليس لي .

ـ انه لك منذ الآن بما اني قدمته لك ، رايس كان يريد أن يقدمه لك .

ـ لا ، انه . . .

ـ كان سيكون لك يوم الزفاف .

ـ لكن . . .

ـ خذيه يا طفلتي ، واعتبريه ذكرى من رايس وليس مني .

ـ لكن رايس لم يحبني .

وخرجت كلمات ديلي عفوية . صمتت السيدة العجوز وظهرت تجاعيد وجهها من ردة الفعل . ثم اجابت بصوت هادىء :

- اذن خذيه باسم حبك له .

- لم احب رايس ، انا ايضاً ، لم احبه ابداً ، ولم نفكر اطلاقاً بالزواج ، وخطوبتنا كانت شكلية ، لقد عقدناها لنحميه من المعجبات .

- لكن الكتاب ، القصائد ، بالتأكيد . . .

- ألم تفهمي انها لم تكن انا ؟ رايس لم تكن له امرأة واحدة في حياته ، وقد استوحى قصائده من مجموعة من النساء .

- ومع ذلك فأنت المفضلة ، والاهداء ، من اجل دليله . . .

- لا .

حاولت ديللي بيأس أن تزيل الألم الذي قرأته على وجه العجوز ، ولكن فات الأوان ، واحست برغبة لا تقاوم في أن تعترف بالحقيقة .

- الاهداء لا يعني شيئاً ، فانا لم اكن حبيبته ، وكانت علاقتنا مهنية بحتة .

- ديللي ، لماذا تقصين عليّ مثل هذه الامور المخيفة ؟

اصبح لون العجوز بلون الشمع وتقلصت تجاعيد وجهها تماماً .

- لأنني احاول ان اشرح لك لماذا لا اسمح لنفسي ان اقبل العقد .

وحاولت ان تفك العقد ، وخبأت رأسها بين يديها وتمتمت بانفعال :

- انه سوء تفاهم شنيع .

- سوء تفاهم ، وتركتني اصدق طيلة هذه الفترة . . .

اختنقت الكلمات في حلق العجوز ، وشعرت ديللي بأنها وقعت في الفخ . التفتت الى راوول ورأته يستند على الأريكة التي كانت تجلس عليها ، متحفزاً كالوحش الجاهز للانقضاض . وجهه متقلص ، عيناه مركزتان على امه ، ولم تأمل ان يمدها بأي مساعدة . بلعت ريقها بصعوبة والتفتت الى السيدة :

- ظننت انني اسدي معروفاً .

- معروفاً !

تقدمت السيدة من طرف الكرسي وكأن الحقد منحها قوة .

- كل هذه التمثيلية معروف ، معروف من اجلي انا ! لم يبق لي غير احسانك ، لقد خدعتني ولا اقبل .

- اردت فقط . . .

- جعلتني اصدق انك كنت خطيبة ابني .

- الخطوبة كانت حقيقة ولكن فقط لكي احميه .

- جعلتني اصدق انك احببته .

- لم اقل هذا اطلاقاً .

- الم تخدعيني ؟

- لم افكر في حياتي ان اجرح احداً .

- استغللت ثقتي ، ليس عندي ما اضيفه .

توجهت ديللي بخطى غير ثابتة نحو الباب ، وراقب راوول

خروجها دون أية كلمة .

١٠ - بحيرة الرجل الضائع

اوقفها راوول في آخر السلّم .

صرخ بصوت يشبه التوسل :

- ديللي . . .

التفتت اليه وقد اخرجت كل مخالبها كحيوان جريح .

- انت ، كل هذا بسببك .

كانت تعرف أن هذا كذب ، ولكنها كالمجنونة من شدة الانفعال ، وبحاجة الى ان تصب جام غضبها على احد .

- أصحيح ، هل انت متأكدة ؟

- نعم صحيح . لو انك لم تحرجني لأرتدي هذا القميص . . .

- انه رائع عليك ، ولكن هذا لا علاقة له بما حدث .

- لا ؟ ولكن لو لم تلامسيني مثل . . .

توقفت وقد احمرت خجلاً من اعترافها .

- لكنك مع ذلك رفضت العقد .

راحت ترتقي السلّم ولكنه اعترضها بذراعه .

- لا تسيئي الى نفسك .

- انت الذي اساء الى براءتي ، اجبرتني ان اعدك هذا الوعد السخيف بأن ارتدي القميص ، وبدون سبب واضح ، واذا . . .

قاطعها بلهجة هادئة :

- ليست لديك أي فكرة عن اسبابي .

نظرت اليه نظرة مليئة بالحقد ، وبدون أن تضيف كلمة خرجت وأغلقت الباب بعنف .

وفي غرفتها تخلصت من ذلك العقد الملعون وكذلك من القميص .

لماذا ألحّ راوول على ارتدائه ؟ وأحست بانها لو لم ترتعش في حضوره ، لوجدت طريقة أقل مأساوية لرفض العقد ، أولربما تظاهرت بقبوله ولا تأخذه معها لدى مغادرتها القصر .

وبعينين ساهمتين وبدون تفكير سحبت الحقائب من الخزانة . لم يعد لديها أي شيء هنا ، والكلام الذي يصعب اصلاحه سبق وان قاله . وانقبض صدرها لأنها وبشكل لا ارادي سببت للعجوز التي تحترمها والتي بدأت تحبها الآلام ،

وان وجودها في القصر سيذكر السيدة دوبريان بالابن الذي عليها أن تنساه .

والأكثر من كل ذلك كانت بحاجة لأن تهرب من راوول ، انها لم تعد تقوى على النظر اليه وجهاً لوجه ، وهي تتذكر أفعاله ، لماذا بقيت مشلولة عندما سحب الوردة ، وتمهلت يده على صدرها ؟

وبالنسبة الى راوول ، كان قد حذرها منذ البداية انه لن يسامحها اذا ما تسببت في أية آلام لأمه . رحيلها سيخفف عنه ، وان عبورها في حياته الخصبة لن يشكل الا حادثاً طارئاً لا سيما مع فرحة افتتاح معرضه في باريس .

وبالنتيجة فقد انتهت المهمة الموكلة اليها بالفشل لأنها لن تأخذ معها الى لندن الوثائق المتفق عليها .

كان قلبها مفعماً بالحسرة لأنها ستخلف وراءها ثمار أسابيع كاملة من العمل الدؤوب المضني ، وقد يستطيع عمها أن يحصل عليها بعد ذلك ، لأنها كانت قد اعدت كل المغلفات الرئيسية بالترتيب ، اذا وافق راوول على ارسالها بالبريد مثلاً .

عليها الآن أن تنظم هربها بعناية وسرعة . أعدت فستاناً ازرق بسيطاً يناسب السفر ثم دست باقي الملابس في الحقائب واضعة نصب عينيها الأ تحمل إلا أصغرها ، وبعد ذلك ستتحمل ارنستين ارسال الباقي بدون شك .

استلقت على السرير وتأملت السقف ، لا تريد أن تنام خوفاً من أن لا تستيقظ في الوقت اللازم . كان عليها ان تنتظر حتى

ينام سكان القصر لكي تنقل حقيبتها الى السيارة .

وبتأن رتبت مخطط الغد ، ستأخذ الرينو ، عليها أن تختلق حجة لتستعيرها ، وتتركها في محطة سان جوست .

في الثالثة صباحاً تسللت من غرفتها ونزلت السلم في الظلام بحذر وأمتعتها بيدها ، وفي الصالة مشت بسهولة لأنها كانت مضاءة بأشعة القمر .

أمسكت أنفاسها وهي تفتح باب الدخول ، واجتازت الباحة بصمت ووصلت الى المرآب بعد أن مرت امام مرسم راوول .

لحسن الحظ كان الباب مفتوحاً ، وفي الداخل اصطدمت بكتلة معدنية باردة فتحسستها بيدها لكي تحدد شكلها وعرفت انها سيارة راوول . تقدمت بحذر في الاتجاه الآخر حتى لمست سيارة الرينو وفرحت عندما وجدتها غير مقفلة . وضعت أمتعتها على المقعد الخلفي وغطتها بالغطاء الذي وجدته على المقعد يوم وصولها ، ولم تغلق الباب تماماً خوفاً من احداث ضجة ، ولم يبق امامها إلاّ أن تعود الى غرفتها وتنتظر طلوع النهار . لم تجد صعوبة في ايجاد مخرج المرآب ، كان مضاء بشعاع من النور ، وأثناء خروجها اصطدمت بشيء معدني احدث صوتاً في الصمت الليلي كالجرس ، فهرعت الى منطقة مظلمة وقلبها يضرب بشدة من الخوف .

سمعت صوت باب المرسم ينفتح على مصراعيه وظهر خيال راوول . . . نظرت اليه ، كان يمسك ريشة طويلة ويضع يده

الأخرى في جيب بنطلونه ، الصورة نفسها التي احبتها والتي لن تراها بعد الآن . وأكثر ما كانت تخافه أن يكتشف وجودها لأنها بالتأكيد ازعجته في اللحظة التي يضع فيها اللمسات الأخيرة لبورتريه نويل ، ولا تعرف العواقب .

عاد راوول الى مرسمه عندما لم يلاحظ شيئاً غير طبيعي ، وأغلق الباب . كانت بحاجة الى عدة دقائق كي يتأقلم نظرها مع الظلام ، ولكي تستجمع شجاعتها لاجتياز الباحة .

اغتسلت ولبست قبل طلوع النهار ، وجلست على حافة السرير تفكر بالحجة التي ستتخذها لتستعير السيارة ، وفجأة تذكرت حديثها مع السيدة دوبريان ، بشأن شيزديو ، نزهة تستغرق يوماً ، ولن يلحظ احد اختفاءها قبل العشاء . وفي هذه الفترة تكون تقريباً قد وصلت الى باريس .

كان عليها أن تبلغ المحطة بأسرع ما يمكن لأنها لا تعرف في أية ساعة يمر قطار الجنوب من سان جوست .

ستتناول افطارها وستتحدث عن رحلتها ، ثم تأخذ المفاتيح من غاسبار ، لترحل وبصورة نهائية .

لا يزال راوول نائماً لأنه عمل الى فترة متأخرة من الليل ، وكذلك السيدة دوبريان لا تستيقظ الا في ساعة متأخرة .

ولكن هل كان عليها أن تترك كلمة عن مكان وجود السيارة ؟

ليس هذا ضرورياً لأن سان جوست قرية صغيرة وسوف يلاحظون وجود الرينو امام المحطة ويعلمون اصحاب القصر ،

بالاضافة الى ان هيلويس يمكن أن تكتشف الكلمة أثناء تنظيفها للمنزل ، وسيصل راوول أو والدته قبل ان تصعد الى القطار .

نظرت ارنستين بدهشة وبشيء من الشك عندما رات ديللي تنزل باكراً . . . من المؤكد انها عل علم بأحداث البارحة .

ـ هل نامت الآنسة بشكل جيد ؟

ـ نعم . اشكرك يا ارنستين لهذا الاهتمام .

وبدأت ديللي تحكي عن مشروع رحلتها الى شيزديو .

ـ السيد راوول لن يرضى بذلك .

ـ السيد راوول ليس حارسي ، وأقدر ان اجد طريقي بدون مساعدة .

وكررت ارنستين بعناد :

ـ السيد راوول لن يرضى بذلك .

ـ سأتدبر الأمر معه لدى عودتي . وسأتناول طعام الافطار اذا سمحت .

ـ لكن السيد راوول . . .

قاطعتها ديللي بحدة :

ـ السيدة دوبريان سمحت لي باستعارة السيارة عند الحاجة .

ـ لكن بعدما حدث البارحة مساء . . .

ـ ماذا تريدين أن تقولي يا ارنستين ؟

ـ السيد راوول سيغضب .

تناولت ديللي افطارها بحضور ارنستين .

ـ هل ترغب الآنسة أن أعد لها بعض المأكولات ، فالطريق طويلة ؟

ـ لا شكراً ، سأتناول طعامي في احد المطاعم ويسرني أن اتذوق الطعام الخاص بالمنطقة .

ـ كما تريدين يا آنسة . ولكن ماري آنج جهزت بعض اللحومات الباردة .

ـ انه لطف كبير منك ، ولكني لست بحاجة الا لمفاتيح السيارة ، والخريطة ، أين يمكنني أن اجد غاسبار ؟

ـ سأرسله اليك يا آنسة ، انه ما زال يتناول طعامه في المطبخ .

اصغت بانتباه لشرح غاسبار عل الخريطة ، وهذا جزء من المؤامرة .

ـ كوني حذرة أثناء القيادة يا آنسة ، فالطقس عل وشك أن يكون ماطراً وهذا يعني فيضانات حقيقية ، وأرضاً قابلة للتزحلق .

ـ وهو كذلك ، لا تخف يا غاسبار .

ـ السيارة قديمة ، وأصلحناها مؤخراً ، آمل أن تسير بشكل جيد .

ـ كن مطمئناً ولا تقلق .

فرحت جداً عندما عرض عليها غاسبار أن يحضر لها السيارة من المرآب لأنها بذلك تتجنب المرور امام مرسم راوول .

نظرت ديللي للمرة الأخيرة الى القصر قبل أن تنطلق ، غيوم

كثيفة تحجب الشمس وتعطي مونبيردو مظهراً حزيناً ، والمطر ينذر بالهطول ولكنها ستكون قد اخذت مكانها في القطار ، وفي اسوأ الاحتمالات تحتمي في صالة الانتظار في محطة سان جوست .

الطريق المتعرج ايقظ ذكرياتها ، يدا راوول المتقلصتان على المقود ، راوول الذي يقود بسرعة جنونية وكاد أن يقتلها ، راوول مرتاح ومبتسم في زيارة بوي ، راوول المخيف بعد العشاء عند نويل . بذلت مجهوداً كبيراً لتطرده من تفكيرها وتركز اهتمامها على القيادة ، وبعد قليل بدأت الأرض المرصوفة بالصعود والتعرج وكذلك بدأت السيارة تعاند والمحرك يسخن وبعد عدة قفزات توقف تماماً عن الدوران . شدت الفرام بيدها وحاولت أن تعيد تشغيل المحرك .

لم تعد تعرف ماذا تفعل فهي لا تزال بعيدة عن غايتها ، لقد مرت تواً من مدخل الطريق الضيقة الموصلة الى نويل ، ولكن لا يمكن أن تطلب مساعدة تلك المرأة مهما كلف الثمن . لم يكن امامها الا ان تترك السيارة وتتابع سيراً على الأقدام .

ولكن اذا ما رآها أي شخص سيخبر القصر فوراً . وقد يمر راوول من هنا . وقررت أن تتركها تنزلق في الطريق الخلفي . محاولة صعبة وخطرة على طريق متعرجة وترابية . شدت اخيراً فرام اليد وتركت المفاتيح في السيارة ، ليس هناك خطورة طالما ان السيارة معطلة . فتحت الباب الخلفي ورفعت الغطاء الذي يخفي حقيبتها .

ما العمل ؟ انها اصغر حقائبها ولكنها ثقيلة مع ذلك . أثقل من أن تحملها حتى سان جوست . وقررت أن تتركها وسيرسلونها مع بقية المتاع . سحبت كنزة سميكة وتذكرت انها نسيت الحمراء التي تنشف بسرعة في مرسم راوول . ووضعت في حقيبة يدها أدوات الزينة والألبسة الداخلية وجواز السفر والنقود .

صعدت الطريق الترابية وهي تتأسف لأنها انتعلت الحذاء ذا الكعب العالي ، ثم سارت باتجاه سان جوست . استراحت قليلاً ولكنها فكرت بأنها لن تصل المحطة قبل الظهيرة اذا كانت ستتابع على هذا المنوال .

ثارت عندما احست بضعفها مع انها احكمت خطتها جيداً ، ولماذا يقف القدر ضدها الى هذا الحد ؟ لمحت ممراً شائكاً في العمق ولكنه بالتأكيد يختصر المسافة عدة كيلومترات ، خلعت حذاءها دون تردد وسارت بخطوات منتظمة الى ان وصلت الى مكان استطاعت فيه أن تميز جدران سان جوست ، ولكن كان عليها أن تهبط منخفضاً آخر يوصل الى هضبة فتابعت طريقها بشجاعة ولكنها فوجئت ببحيرة صغيرة قطعت عليها الطريق ، فوقفت تتفحص الاتجاه الذي عليها أن تأخذه .

انها بالتأكيد بحيرة الرجل الضائع . كان المكان رائعاً ، بعيداً عن الطريق وغير مشوه بالمدنية ، لا ترى بيتاً ولا كوخاً ، حتى القرية كانت تختفي خلف القمة . اقتربت من الشط لعلها

تلمع اثار المدينة الغائرة ، لكن سطح المياه الأملس لم يعكس لها الا صورة الغيوم الملبدة في السماء . الهواء البارد بدأ يعصف والمطر ينذر بسيوله وعليها أن تسرع لتهرب من كل ذلك ولتلحق بالقطار .

وفجأة غاصت قدمها في شق صخري ، وحاولت سحبها بشق الطرق ، لكن دون نتيجة . استندت على صخرة وشدت رجلها بقوة سمعت بعدها طقطقة وأطلقت صرخة من شدة الألم . لقد اصبحت قدمها حبيسة الصخرة وأقل حركة كانت تثير في ساقها ألماً لا يحتمل .

حبستْ دموع اليأس في مآقيها ، ولا أمل لديها الآن الا اذا حركت الصخرة . حاولت أن تحيطها بيديها وتدفعها بكل قواها لكن دون فائدة ، ولا امل لديها بأي مساعدة لأن الزوار لا يمكن أن يقصدوا البحيرة في مثل هذا الطقس .

ارعدت السماء وأبرقت وهطلت الأمطار كالسيول ، تمددت ديلي بنصفها على الأرض وبعد مجهود استطاعت أن تمسك حقيبة يدها وتخرج منها الكنزة لكي تتقي بها المطر ولو مؤقتاً ، وحاولت أن تجمع الحاجيات التي سقطت منها وتبعثرت على الأرض ، وتذكرت قبعة بلاستيكية في حقيبتها فلبستها وكانت هذه حمايتها الوحيدة من كثافة الأمطار .

١١ - آلام دليلة

كان الضباب ينسحب فوق البحيرة متخذاً أشكالاً خيالية . تساءلت ديلي اذا لم تكن مخيلتها هي التي تلعب عليها هذا الدور . موكب من الكائنات الغريبة سكنت هذا الليل اللامتناهي ، وقد لا يكون هذا الضباب المتحرك الا من صنع خيالها .

كانت تتجمد كلما عصفت الريح وهزت كيانها ، لكن آلام جسمها لا تزال تذكرها بأنها آدمية من لحم ودم . ولتتجنب أن تغرق في حالة جنونية ، ركزت انتباهها على اشياء صغيرة حقيقية . مثل العشب الذي تتلألأ عليه قطرات الندى ، حجر غريب الشكل وحشرة في شق صخرة ، وبعد قليل انهكها هذا

الجهد فأغمضت عينيها . منذ متى وهي على حافة البحيرة ؟ منذ يومين ؟ ثلاثة ؟ دهر ؟ في البداية تراقص البرق واشتدت العواصف وسقطت الأمطار كالشلالات وكأن الجنية صاحبة الاسطورة عادت لتكسر كل شيء .

وبعد بضع ساعات هدأت العواصف وتبعها سقوط مطر جليدي حتى الغسق . وتذكرت ديلي انها صحت عدة مرات في الليل الحالك ، وفي اليوم الثاني بزغت شمس شاحبة . خلعت ديلي كنزتها لتعرض فستانها المبلل وجسمها لأشعة الشمس ، ثم عادت الغيوم لتغطي سطح السماء ، وأعقبها مطر اضطرها أن تعيد كنزتها الى اكتافها وهي لا تزال رطبة .

ولم يتأخر الجوع في زيادة تعذيبها ، لقد رفضت أن تحضر لها ارنستين بعض الأطعمة . ولحسن الحظ استطاعت أن تروي ظمأها من المياه المتجمعة في حفرة الصخرة . وفي وقت لاحق أثناء النهار عادت تمطر رذاذاً ، ولكنه كان يخترق كيانها حتى العظم . سيما بعد أن طارت قبعتها مع الرياح .

وبعد ذلك فقدت احساسها بالزمن ، فأحيانا تدخل في حالة غيبوبة وأحياناً وبشكل لا ارادي تصحو على اثر الألم الذي ينتابها ويصعب التغلب عليه .

وفي اليوم الثاني أو قد يكون الثالث ، تشكل لديها هوس جديد الا وهو هوس سمعي بالاضافة الى الهوس البصري . لقد بدأت تسمع اصواتاً يرتد صداها بعد ارتطامها بالصخور المحيطة بالبحيرة ، وفي لحظة ارتسم امامها خيال راوول عن

بعد ، ثم بدا وكأنه يقترب منها . وبدأ يكبر ويكبر حتى حجب الأفق ، ووقعت مغمى عليها ، سعيدة من انها هربت من طيف راوول .

ـ ديلي .

رنت الكلمة في رأسها وأيقظت رغبتها في التحرر . ان السراب هذه المرة يمتلك صوتاً ويدين واكتافاً حملتها وأصابع لامست وجهها ، ومن أعماق يأسها تمنت أن يكون هذا الوهم حقيقياً .

ثم سمعت صوتاً آخر وشاهدت أجساماً اخرى ، أحدها ادخل قضيباً حديدياً تحت الصخرة ، وتحركت .

عض قدمها ألم فظيع ثم وصل الى الرسغ وأخيراً صعد الى الساق . بدت امامها صورة راوول ثانية ، انه غاضب ولكن ليس منها وانما من شخص آخر ، كان يشتمه ، ثم سمعت صراخاً ، وفجأة توقف الألم .

هوسها اخذ منحى آخر ، لم تعد سجينة ، شخص اخذها بين ذراعيه وهدهدها كالطفل ، وأحست بأن قواها تخور وأغمي عليها .

عندما عادت الى وعيها وجدت نفسها في سيارة ، لم تكن سيارة راوول وانما هناك شخص آخر يقودها ، ولكنها احست بأن راوول هو الشخص الذي يجلس الى جانبها .

توقفت السيارة ، وعندما اخرجوها ، عبر برج القصر مجال رؤيتها ثم مريول ارنستين الأبيض ، وسمعت صوتاً آخر ، ثم

السلّم . فتح باب وأخيراً تعرفت على غرفتها .

وفي حالة نصف واعية رأت ارنستين تمد الشراشف على السرير ، ثم ذهبت وعادت بطشت . شخص ما حملها بتؤدة الى السرير ، امسكت بيده خائفة من أن تبقى وحدها .

ـ دليلة .

انه صوت راوول ، قلق وحنون ومنفعل . ارادت أن تصرخ من يأسها ، لكنها فقدت مقدرتها على الصراخ .

وأخيراً وجدت نفسها في سرير ناعم وغرق رأسها بين المخدات .

وبدون أن تميز اذا كانت في حالة حلم أم يقظة ، لمحت راوول . انه بقربها ، يمسّد شعرها بيد ناعمة ، ويقول كلاماً لا تسمعه . فاضت دموعها بغزارة وأحست بأن احداً يمسح دموعها . ارادت أن ترفع رأسها فسقط ثانية ، وتلاشت حواسها ودخلت في حالة غيبوبة .

١٢ ـ تعرفين سبب عودتي

الجدران تتقارب ، تغيّر اشكالها ، ثم تتلاشى بعيداً .

وأخيراً يعم الظلام ، وبعد وقت طويل نقطة ضوء ثم اثنتان ثم عدد لا يحصى من الأسهم النارية ملأت المساحات وبهرت العيون .

وفي لحظات اخرى ارتسمت وجوه على السقف ، وجه ارنستين القلق من شيء ما كالمعتاد ، وجه السيدة دوبريان الشاحب كالموت . وجه رجل قد يكون عمها ولكنه ليس هو ، انه على الأغلب وجه راوول ، حاد أو نحيف أو وقح أو مبتسم أو حزين .

وأخيراً لم يعد يسيطر الا الليل ، عميقاً ، أسمّ ، وأزلياً .

وعندما استيقظت ديللي كانت الغرفة تسبح في أشعة الشمس .

قال صوت لطيف جداً :

ـ آنستي ؟

ادارت رأسها الذي يقرع كالطبل وتعرفت الى ارنستين . ارادت أن تكلمها ، لكن عضلات وجهها كانت شبه متلاشية ، فرفعت ارنستين لها رأسها وقربت كأساً من شفتيها الناشفتين . شربت بضع نقاط من الماء وأحست بالتحسن واستطاعت أن تبتسم ، ولكن الجهد كان كبيراً فاغمضت عينيها ونامت مجدداً .

حلمت أن راوول يلمس وجهها بنعومة ، ورغبت أن تلمسه لكن اعضاءها رفضت الاستجابة .

وأحست بحرارة أنفاسه على وجهها . ثم تلاشى الحلم . وعندما فتحت عينيها شاهدت ارنستين تمسح عرقها بمنشفة رطبة ومعطرة ، ثم اعطتها بضع ملاعق من الشراب الساخن .

ـ الآنسة افضل اليوم كما ارى .

بما ان ارنستين ترى ذلك فقد يكون صحيحاً ، مع انها تشعر بارهاق شديد .

ـ اريد ايضاً قليلاً من الحساء .

ـ لا يا آنستي ، في هذا بعض الخطر ، الحرارة لم تهبط الا البارحة ، والآنسة كانت مريضة جداً ، وكادت تموت من البرد .

سألت وهي تتلفظ بصعوبة :

ـ كم من الوقت . . .

ـ الآنسة كانت تهذي خلال اربعة ايام ، والسيدة كانت قلقة جداً . ولكن الطبيب اكد لها البارحة بأن الوضع لم يعد خطراً .

ـ وراوول ؟

ـ السيد راوول هو الذي وجدك بعد بحث يومين ، الكل بحث عنك في شيزديو . يجب ألا تتعبي نفسك الآن ولا تفكري بشيء ، نامي وعندما تصحين سأعطيك حساء .

كانت ديللي قد نامت قبل أن تنهي ارنستين كلامها ، ثم استفاقت بعد عدة ساعات من نوم عميق لم تزعجه الكوابيس . وكانت ارنستين تجلس بقربها امام الطاولة .

ـ ارنستين عليك ان تكوني قرب السيدة دوبريان .

ـ لا يا آنسة ، السيدة امرتني أن اظل بقربك حتى تتماثلي للشفاء .

ـ ومن يعتني بها ؟

ـ لا تقلقي ، هيلويس لطيفة جداً وتدبير الأمر ، وبما ان مرحلة الخطورة قد انتهت فسأعود الى جانب السيدة هذا المساء ، والآن عليك ان تأكلي بشكل جيد لكي تستردي قواك .

وبعد قليل جاءتها ماري آنج بطبق من الحساء وآخر من الفاكهة المطبوخة ، ويبدو انها كانت قلقة بشأن صحتها كارنستين .

بذلت مجهوداً كبيراً لتأكل وقالت في نفسها و الكل اهتم بي حتى السيدة دوبريان بعد كل ما حصل ، الا الشخص الوحيد الذي كنت بحاجة لرؤيته . اين هو الآن ؟ هل هو هنا ؟ ام في باريس ؟ »

كان يلزمها يومان لكي تستعيد شيئاً من الحيوية ، ولكي تبقى صاحية لمدة ساعتين متتابعتين . ارنستين تعتني بها بشكل دائم ، كذلك هيلويس كما تعرفت الى الطبيب شارل طبيب سان جوست الذي اعتنى بها وعاملها على انها انسانة ودودة وقريبة من القلب .

أتت السيدة العجوز لزيارتها ، وكانت متعبة وبقيت معها فترة قصيرة . راوول ما زال غائباً ، هل اتى لرؤيتها وهي في حالة الهذيان ام انها تخيلت ذلك ؟ ومن المؤكد انه سافر الى باريس بعد أن وجدها ، وبعد الوقت الذي اضاعه في البحث عنها أثناء افتتاح معرضه .

في اليوم التالي نهضت من السرير ولكن ساقيها لم تقويا على حملها لفترة طويلة . فعادت مسرعة الى السرير ، وبعد يومين احست بالتحسن ، ثم عاد الطبيب لزيارتها واطمأن من نتائج الفحص .

ـ انك قوية ، وهذا من حسن الحظ ، يا حبذا لو كانت السيدة دوبريان كذلك .

قالت وهي تتألم من ان تكون هي المسؤولة :

ـ يبدو لي انها مريضة جداً .

تمتم :

ـ انه مرض النفس . هذا التشخيص ينطبق عليك كذلك .

اكدت بصوت مليء بالثقة :

ـ اشعر بانني شفيت تماماً . نزلت البارحة الى العشاء وأمضيت الصباح وانا اتنزه في الشمس .

اكد لها الطبيب :

ـ انت لم تستعيدي صحتك تماماً . اعتقد ان في داخلك شيئاً ما .

قالت كاذبة وهي ترغم نفسها على الابتسام :

ـ لا . كنت اتمنى فقط أن التقي عمي وعمتي . فانا لم ارهما منذ فترة طويلة .

ـ ستتحقق امنيتك قريباً واعتقد انك خلال يومين أو ثلاثة يمكنك أن تتحملي اعباء السفر . وساشرح هذا للسيدة دوبريان ، لكن عليك أن تمنعي نفسك من الانفعال الداخلي فهناك بعض الأمراض يعجز عن معالجتها امهر الأطباء .

الطبيب محق في ذلك ، لقد حاولت أن تطرد الشبح الذي يأكل قلبها ، ولكنها لم تستطع أن تطرد منه راوول . انه يشغل قلبها وعقلها كلياً . كانت ديللي متأكدة من انه في باريس ، ولكنها لم تجرؤ على طرح السؤال خوفاً من كشف عواطفها .

منع الطبيب السيدة من مغادرة غرفتها فذهبت ديللي لزيارتها ، وقد صدمت لرؤيتها على ما كانت عليه من ارهاق ، وانقبض قلبها لما سببته لها من الآم .

- آمل الا تتحاملي علي لأنني تسببت في ازعاجك .

ابتسمت السيدة دوبريان ، وكانت تجلس على أريكة كبيرة وتغطي رجليها .

- كنت ساحزن لو لم تات لرؤيتي . اخبرتني ارنستين بأنك افضل بكثير الآن .

- هذا صحيح .

تبع ذلك صمت محيّر ، استعادت ديللي شجاعتها لتكسر هذا الصمت المطبق .

- لا اعرف كيف اعبر لك عن افكاري ، لكني اود ان اقول بانني لم اقصد ابداً أن أسبب لك أي ألم ولا لاي شخص آخر في هذا العالم ، ولقد شعرت في الأيام الأخيرة بأنني اعيش في اسرتي كما انني كنت فخورة من ان تكوني لي أماً أو حماة ، ولا يمكن أن احتمل فكرة تعذيبك .

تنهدت العجوز بحرقة :

- وهل فعلت هذا ؟ لا اعتقد . ان ما شرحته لي فيما يتعلق برايس ، حاولت أن أنساه قدر الامكان . ولكني لن انسى ابداً انك كنت ستموتين بسببي .

- هذا ليس صحيحاً ، هناك شيء آخر دفعني للرحيل .

ثم سكتت خوفاً من ان تكشف حبها لراوول .

ظلت العجوز صامتة لفترة طويلة وكأنها تجتر ما قالته ديللي ثم تمتمت وكأنها تكلم نفسها اكثر مما تكلم شخصاً آخر :

- شيء آخر . . . ؟ لكن . . .

ثم صمتت

حاولت ديللي أن تستعيد الحديث .

- الطبيب سمح لي بالسفر خلال يومين ، آمل أن توافقي على ذلك .

- لا ، لست موافقة ، وكذلك ابني لن يكون موافقاً ، لقد كان قلقاً جداً عندما سافر . ولولا أن الطبيب اكد له بأن لا خطر عليك . . .

لم تجرؤ ديللي على الحركة وأمسكت أنفاسها متمنية وخائفة في الوقت نفسه من أن تسمع المزيد .

- . . . لكن راوول تأخر عدة ايام ، والمسؤول عن صالة العرض لا يعرف السبب . الافتتاح لا يمكن أن يؤجل ، أتفهمين ؟

اجابت بصوت ضعيف :

- لم انتظر أن يفعل ذلك

اذن ، لقد بقي في مونبيردو بعد انقاذها .

- سيعود خلال اسبوع .

ويبدو ان السيدة كانت تترصد ردّ فعل ديللي .

- انا متأكدة من أن المعرض سيكون ناجحاً .

هذا كل ما استطاعت أن تقوله ، وأضافت وهي تحاول أن تتحكم في نفسها :

- يسعدني ان اقرأ شيئاً من رأي النقاد .

- من الأفضل أن تنتظري قليلاً ، ان راوول قلق جداً بشأن

صحتك ، وهو يتصل هاتفياً كل يوم . . . مرتين أو ثلاثة ، مع انه يكره الهاتف جداً .

مسحت ديللي دموعها ، انه يتصل كل يوم ليطمئن على صحة والدته ، فهو لم يطلب أن يكلمها . وبعد أن تذكرت قلقه قالت لنفسها : « سيكون قلقاً أيضاً اذا ما حدث اي حادث مشابه لارنستين أو ماري آنج أو غاسبار . » .

- يمكنك أن تخبريه بانني شفيت .

- لماذا لا تؤكدين له ذلك بنفسك ؟

- عندي موعد مع عمتي في باريس ، وهكذا لن اكون وحيدة طيلة الرحلة .

فكرت السيدة لحظة ثم شدت على وجهها .

- مع الأسف ، اطلب منك فقط أن تزوريني قبل رحيلك .

غادرت ديللي السيدة دوبريان بعد السهرة بقلب حزين لأنها لن تراها بعد الآن . ولكنها احست بالارتياح من تحسن صحتها ، لقد كانت هادئة وكلها في حالة سلام داخلي مع نفسها . ربما لم تعد تعتبر نفسها المسؤولة عن الحادث المأساوي الذي كان سيكلف ديللي حياتها .

ديللي الآن جاهزة للرحيل ولحسن الحظ ان غاسبار وارنستين اهتما بكل شيء لأنها لم تكن قد استعادت قوتها تماماً . وبذلت جهداً لكي تغادر المقعد الذي اعتادت أن تجلس عليه ، وألقت نظرة أخيرة على المكتب والخزانة والحمام ، لتطمئن الى انها لم تنسَ شيئاً . لقد حزمت كل امتعتها ما عدا قميص الدانتيل ،

الذي تركته معلقاً في الخزانة ، والكنزة الحمراء التي نسيتها في مرسم راوول .

ودعت ديللي ارنستين وماري آنج ، وتأثرت عندما رأت ارنستين تمسح دموعها خفية بطرف مريولها .

قررت أن تنتظر غاسبار في الخارج بما أن الطقس جميل . نزلت على مهل وهي تلامس بأصابعها درابزين السلم ، ومن واجهة الصالون الزجاجية راحت تتأمل للمرة الأخيرة ورود الباحة الداخلية مما احيا ذكرياتها وآلامها . ثم فتحت الباب وخرجت الى الشمس . لكن غاسبار تأخر .

لمحت باب مرسم راوول مفتوحاً ، لا بد أن هيلويس وارنستين استغلتا فرصة غياب راوول لتنظيفه ، وهذا اعطاها فرصة لاستعادة كنزتها .

دخلت الغرفة ولم تجد أثراً لأحد .

معظم اللوحات التي كانت معلقة على الجدار ، اختفت ولم يبق الا بعضها ، وعلى حاملة اللوحة رأت واحدة كبيرة ، ولكن من الخلف . لا بد انها لوحة نويل ، ولمحت على الطاولة الكنزة الحمراء فاقتربت ومدت يدها لتأخذها .

- ديللي .

قفزت وكأن تياراً كهربائياً مسّها . والتفتت لترى راوول واقفاً أمام الباب والابتسامة تعلو شفتيه . خفق قلب ديللي وتلعثمت . دخل وأغلق الباب ولم يقترب وانما نظر اليها متأملاً بعيون تلمع كالذهب .

تمتمت بخجل متحاشية نظراته :
ـ جئت استعيد الكنزة .
اقترب منها بهدوء .
ـ ظننتك في باريس .
ـ كنت ، وعدت منذ بضع دقائق فقط .
تابع تقدمه ثم توقف على بعد خطوات منها . رفع يده وكأنه يريد أن يلمسها ثم أنزلها وتنهد من أعماقه .
ـ ظننت انني سأراك في القصر .
ـ نزلت لأنني سأرحل خلال ساعة .
ـ هل انت متأكدة ؟ لا اعتقد انك تستطيعين السفر .
ـ الطبيب سمح لي بذلك .
ـ اذن ، هكذا سترحلين ، وبدون وداع ؟
ـ طلبت السماح من والدتك .
ـ اخبرتني بذلك البارحة .
ـ ظننت ان رحيلي لن يؤثر عليك ، فأنت لم تكلمني على الهاتف .
ـ من المستحيل أن اقول لك الى اللقاء بهذه الطريقة .
ـ اذن سأودعك وأقدم شكري .
ـ شكرك ؟
ـ لن انسى انك انقذت حياتي .
ـ يمكنك أن تشكري نويل لأنها لو لم تكن . . .
لم يكمل الجملة التي قالها بسخرية . وبلعت ديللي ريقها

بصعوبة لأنها لا تريد أن يكون لنويل فضل عليها .
ـ لا بد انك قمت بالشكر نيابة عني .
ـ هذا ما فعلته .
ـ لقد تسببت في تأخير سفرك الى باريس وارجو أن تقبل أسفي .
ـ لتذهب باريس الى الجحيم .
حاولت أن تحتفظ بهدوئها وسألته بلهجة حيادية :
ـ كيف كان رد فعل النقاد ؟
ـ ليست لدي اي فكرة بهذا الشأن ، الافتتاح هذا المساء .
ـ اذن ستكون . . .
قال وهو يهز كتفيه :
ـ نعم سأكون غائباً ، لا احب يوم الافتتاح .
ـ هذا ما يفسر عودتك اذن ؟
ـ ديللي . انت تعرفين تماماً سبب عودتي .
قالها بصوت جاد وحار لم تسمعه من قبل ، احست بقلبها يخفق بجنون ، اخذها من ذراعها وجرها نحو حامل اللوحة .
حاولت أن تقاوم لأنها لا تريد أن ترى رسم نويل .
قال بصوت لطيف :
ـ ربما هذا يساعدك على الفهم .
فتحت عينيها متوقعة أن ترى نظرة نويل المتعجرفة ولكن اللوحة لم تكن الا مرآة لها . انها امام صورتها الأصلية .
الوجه محاط بشعر اشقر يميل الى الاحمرار ، اذنان صغيرتان

مرسومتان بشكل جميل ، العينان نفسهما التي وصفهما لأمه ، رماديتان شاحبتان على مساحة كبيرة . الفم كبير بلون احمر شاحب يفتر بشكل خفيف عن ابتسامة تخفي اسناناً عاجية جميلة ، الذقن دقيقة مرفوعة .

ديللي اللوحة تلبس قميص الدانتيل ، بفتحة صدر كبيرة تكشف عن رقبة جميلة تثير الاحاسيس الغافية .

تمتم راوول بصوت مخملي :

ـ مزيج رائع من البراءة والاثارة .

التفتت اليه بعينين مدهوشتين .

ـ تحبني ، والا لما رسمت هذه ؟

لم يكن سؤالاً ولكنه كان اكتشافاً .

ـ اعتقد ان قلبي احبك منذ البداية ، لكن كان علي ان ارسم وجهك لاكتشفك .

ـ لكن لم تقل لي ذلك ابداً .

كانت ديللي تضغط يديها على صدرها لكي تخفف من ضربات قلبها المجنون .

ـ مع انك كنت ترسم نويل .

ـ هذا صحيح .

وقف بجانبها ولم يقترب ، ونظر اليها بحنان وكأنه يلامسها بعينيه .

ـ عند رسمها اكتشفت حقيقتها ، وتوصلت الى اكتشاف كل ما كانت تخفيه لفترة طويلة . ولم اكمل اللوحة .

ـ وبالتأكيد لم تكن مسرورة لذلك ؟

ـ لتذهب الى الجحيم ، انها لم تكن مسرورة من مجموعة أقوال أسمعتها اياها . هل يمكن لشخص ما ان يصمت طيلة هذه الفترة ، أثناء اختفائك ، وهو يعرف ان سيارتك تقف بجانب . . .

قاطع نفسه وكأن الكلمات رفضت أن تخرج من حنجرة مليئة بالانفعال .

ـ لكني حسمت كل شيء في الليلة التي تعشت فيها معنا .

ـ والرسالة التي ارسلتها . . .

ـ كانت المحاولة الأخيرة .

ـ لكن عندما اصطحبتني للعشاء عندها بدت لي . . .

ـ كانت غيورة من جمالك . . . وأحست قبلي بانني احبك فلعبت هذا الدور لكي توهمك بأني مغرم بها .

لا تريد ديللي أن تفكر بهذه المرأة التي تغير منها بجنون .

ـ نويل لم تستحوذ على قلبي اطلاقاً ، ولا انكر وجود علاقة ما . وبعد كل شيء فأنا رجل . . .

قالت بابتسامة خبيثة :

ـ لقد صدق احساسي .

وأخيراً كانت ديللي هي التي اقتربت من راوول .

ـ راوول .

ولكنه لم يدعها تكمل ، بل ضمها بين ذراعيه بحنان وغابا في عناق حار وهو يهمس باسمها . . .